أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة مدى

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1844) السنة السابعة
الاحد (11) تموز 2010

سر جاذبية روايات شرلوك هولمز

ملف العدد (8-9)

الإخوان المسلمون في العراق

غوركي .. الواقع و الطموح الإنساني

أحلام مستغانمي: أهي كتابات للنسيان أم لإنعاش الروح والذاكرة والوجدان؟

صوفيا لورين: بيتنا مليء بالمرايا

أوراق
العدد (1844)السنة السابعة -الاحد (11)
تموز 2010

دستويفسكي جوهر الروح الإنسانية

ترجمة:عمار كاظم محمد

روائي وصحفي وقاص روسي كان لنفوذه النفسي في الروح الإنسانية تأثيرا كبيرا على الرواية في القرن العشرين . تحتوي روايات دستويفسكي على الكثير من عناصر السيرة الذاتية لكنها في النهاية تتعامل مع الأسئلة الفلسفية والأخلاقية حيث قدم شخصيات تعج بوجهات النظر المتناقضة حول حرية الاختيار : الاشتراكية , الإلحاد, الخير والشر, السعادة والشقاء الخ ...

لكن الفكرة المركزية التي سيطرت على دستويفسكي كانت الله والذي تبحث عنه شخصياته
دائما من خلال الأخطاء المؤلمة والإذلال.
يقول دستويفسكي على لسان الأمير فالكوفسكي في رواية مذلون مهانون (.... لكنك شاعر ،وأنا إنسان فان بسيط، ولذلك سأقول لك يجب على المرء أن ينظر إلى الأشياء بسهولة اكبر ومن وجهة النظر العملية، فأنا كفرد قد حررت نفسي منذ زمن طويل من كل القيود وحتى الالتزامات ، فأنا اعرف الالتزامات فقط حين أرى أن لدي شيء ما أستطيع الحصول عليه بها.
أنت ، بالطبع لا تستطيع رؤية الأشياء بهذا الشكل فأقدامك مقيدة وطعم الأشياء عندك سقيم أنت تتوق للمثال ، للفضيلة ، لكن يا صديقي العزيز أنا مستعد لمعرفة أي شيء تخبرني به، لكن ماذا سأفعل إذا كنت أعرف حقا أن في جذر كل الفضائل الإنسانية تقطن الأنانية الأكثر حدة). ولد فيدور دستويفسكي عام ١٨٢١ في أسرة مطبب بمستشفى الفقراء في موسكو حيث تلقى تعليمه في البيت وفي مدرسة خاصة وبعد فترة قصيرة على وفاة أمه عام ١٨٣٧ أرسل إلى سان بطرسبرغ حيث دخل الكلية الهندسية العسكرية. في عام ١٨٣٩ توفي ميخائيل اندريفتش والد دستويفسكي بالسكتة الدماغية وقيل أنه قتل على يدي بعض اتباعه.
تخرج دستويفسكي من الكلية الهندسية العسكرية حيث استقال في عام ١٨٤٤ لتكريس نفسه للكتابة . في الرابعة والعشرين من عمره أنجز روايته الأولى (المساكين) والتي نجحت نجاحا كبيرا حيث أشاد بها النقاد كثيرا وخصوصا الناقد الروسي الكبير بلينسكي الذي رحب به ك(غوغول جديد) حيث قال دستويفسكي كلمته الشهيرة (كلنا قد خرجنا من معطف غوغول) .
في عام ١٨٤٦ انضم دستويفسكي إلى مجموعة (الاشتراكيين الطوباويين) الذين تجمعوا في بيت ميخائيل بتراشفسكي . كان بتراشفسكي اشتراكيا غريب الأطوار ، حيث ذهب مرة إلى الكنيسة بثياب امرأة وقد وضعت الشرطة السرية وكيلا لها في المجموعة وفي نيسان من عام ١٨٤٩ اعتقل دستويفسكي خلال قراءة رسالة راديكالية للناقد الشهير بلينسكي (وهي مجموعة من القطع الأدبية كتبت من المحرر إلى صديق) وحكم عليه بالموت ،
هذا الإعدام اللامعقول صدم الكاتب كليا ، وقد خفف عليه الحكم من الإعدام إلى السجن في سيبيريا حيث أمضى دستويفسكي أربعة أعوام محكوما بالأشغال الشاقة كان فيها يلبس القيود مع الكثير من المدانين الآخرين الذين ارتكبوا جرائم قتل.
في عام ١٨٥٤ أطلق سراحه حيث استخدم كجندي عادي في (سيمبالتنسك) . كونت هذه التجارب موضوعا لأعماله المستقبلية حيث عكس أبطاله وبطلاته قيما أخلاقية كانت مهمة بشكل حيوي لمؤلفها ، لقد كانوا رجالا ونساء عمليين انعكست أفكارهم على الشباب في روسيا.
خلال سنواته في سيبيريا اصبح دستويفسكي نصيرا للملكية وتابعا مؤمنا للكنيسة الأرثدوكسية الروسية. عاد دستويفسكي إلى سان بطرسبرغ عام ١٨٥٩ ككاتب ذي رسالة دينية حيث نشر ثلاث روايات أخذت بمختلف الطرق خبرته في سيبيريا وهي (ذكريات من بيت الموتى) ١٨٦١ –١٨٦٢ (مذلون مهانون) ١٨٦١ ، (ذكريات شتاء في مشاعر صيف) ١٨٦٣ .
في تلك الفترة كان قد تزوج من ماريا لاساييف وهي أرملة بعمر ٢٩ سنة . بين عامي ١٨٦١ و١٨٦٣ عمل كمحرر لمجلة دورية شهرية أغلقت فيما بعد بسبب مقالة عن الانتفاضة البولندية . في عام ١٨٦٢ سافر دستويفسكي للمرة الأولى إلى فرنسا وإنكلترا ثم سافر مرة أخرى إلى أوربا عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٥ حيث توفت زوجته وأخيه ، عندها أصيب بهوس القمار وتراكم الديون وأعراض الصرع المتكرر.
وفي اضطراب أعوام الستينات ظهر كتابه (ملاحظات من تحت الأرض) وهو دراسة نفسية للاغتراب حيث مثل هذا الكتاب حدا فاصلا في تطور دستويفسكي الفني.
في عام ١٨٦٦ كتب روايته العظيمة (الجريمة والعقاب) وفي عام ١٨٧٢ كتب روايته الشهيرة (الممسوسون) والتي صور فيها شخصية السيد المسيح بصورة الأمير ميشيكين حيث كشف من خلاله عن الإفلاس الروحي لروسيا واستكشافه لفلسفة العدم.
في عام ١٨٦٧ كان تزوج ثانية من آنا جريجورفينا كاتبة الاختزال عنده وهي بعمر ٢٢ سنة والتي تبدوا أنها فهمت هوس زوجها واهتياجه لتفادي دائنيه. غادر دستويفسكي روسيا معها حيث قضيا أغلب الأوقات في ألمانيا،إيطاليا وسويسرا في فقر مدقع .
كان في أغلب الأوقات مهووسا بالقمار لكن شهرته في روسيا بدأت تنمو وحينما أحرزت روايته(الممسوسون) النجاح عاد إلى روسيا واشترى منزلا.
من عام ١٨٧٣ إلى عام ١٨٧٤ أصبح دستويفسكي محررا لمجلة (المواطن المحافظ) الأسبوعية وفي عام (١٨٧٩ – ١٨٨٠) صدرت رائعته الشهيرة (الأخوة كرامازوف) حيث عرف في بلادة كأحد كتابها العظام وصوت الشعب الأصيل في فترة الأزمة التي حلت ببلاده.
توجت رواية دستويفسكي الأخيرة (الأخوة كرامازوف) هوسه الدائم بجريمة قتل الأب ، الافتراض بان أبيه قد قتل ترك في نفسه آثارا عميقة .
رواية الأخوة كرامازوف حول حبكة بسيطة هي اغتيال الأب في عائلة كرامازوف ، أحد الأبناء وهو ديمتري يعتقل. يمثل الأخوة ثلاثة سمات من وجود الإنسان ، العقل (ايفان)، العاطفة(ديمتري) ،الأيمان (اليوشا) هذا الموضوع يتحول إلى بحث روحي وأخلاقي عن المجتمع المعاصر.
عانى دستويفسكي من الصرع طوال حياته إلى أن توفي في التاسع من شباط عام ١٨٨١ في سان بطرسبرغ ودفن في دير الكسندر نيفسكي . آنا جريجورفينا كرست بقية حياتها لحفظ التراث الأدبي لزوجها .
أرهصت روايات دستويفسكي بالكثير من أفكار نيتشة وفرويد وقد تأثر دستويفسكي بقوة بالكثير من أفكار الكسندر هرتزن وبلينسكي ، لقد رأى أن الفن العظيم يجب تكون له حرية التطور بشروطه الخاصة لكي يتعامل مع المشاكل الاجتماعية الرئيسة.

المصادر:
Books and writers
amazon.com

مصنفة عملاقة لتصنيف الكتب و توزيعها

ترجمة / عادل صادق

قبل سنتين، كان سالفاتور ماغادينو، المشرف على توزيع المواد لصالح مكتبة نيويورك العامة، يشكو في اجتماع من أنه يواجه صعوبةً في تجنيد مصنّفي كتب، و هم الاشخاص المسؤولون عن تصنيف أو فرز ملايين الكتب المرسلة كلّ عام من مكتبة فرعية إلى أخرى، كما جاء في تقرير كيت تيلَر هذا.

و قال السيد ماغادينو في يوم آخر، " لقد كان عملاً مضجراً عادياً "، و كان يقف إلى جوار نتيجة تلك الشكوى، و هي مصنّفة كتب مؤتمتة جديدة عملاقة أقيمت في مستودع مجدَّد في كوينز. و قد أدت هذه الماكنة ـ و يُعتقد بأنها الأكبر من نوعها ـ إلى التخلص من الكثير من الكدح و التأخير في هذا المجال منذ أن تم تشغيلها قبل شهرين. فالآن، حين يطلب زائر مكتبة في أي مكان من هذا النظام كتاباً مستقراً في فرع آخر، فإن المصنفة الأوتوماتيكية تقوم بإنجاز ذلك.

و إليكم كيف تعمل هذه المصنّفة أو الفارزة : هناك على جانب من الماكنة، التي يبلغ طولها ثلثي طولَ ملعب كرة القدم و محاطة بحزام ناقل، يضع أفراد من العاملين كل كتاباً و وجهه للأسفل على لوح منعزل من الحزام. و يمر الكتاب تحت سكانَر ليزرية، تقرأ شفرة الفاصل على ظهر الكتاب، فتتصل المصنّفة بنظام الكومبيوتر المركزي للمكتبة حيث ينبغي توجيه الكتاب. ثم، تقوم، و الحزام يدور، بإسقاطه في واحد من ١٣٢ صندوق أو وعاء، و كل واحد متصل بمكتبة فرعية. إنه نوع أشبه بدوّارة الأمتعة التي تعرف أية حقيبة هي لك و تضعها عند قدميك، (كما في المطارات الافتراضية، مثلاً).

و عندما تحدث السيد ماغادينو في الاجتماع، لم يكن يعرف أن لمثل هذه المكائن من وجود على الإطلاق. لكن سرعان ما قام أحد أمناء المكتبات بعد ذلك، و كان حاضراً هناك، بلفت نظره إلى شريط فيديو يو تيوب YouTube عن مصنّفة أوتوماتيكية في ولاية واشنطن. فقام السيد ماغادينو ببعض الضغوط و التأثيرات للحصول على ماكنة من هذا النوع، و هكذا قررت المكتبة طلب واحدة.

و تحتل هذه المصنّفة، التي تبلغ كلفتها ٢,٣ مليون دولار، طابقاً تحت الأرض من المستودع، الذي كلّف تجديده ٥٠ مليون دوار مؤخراً، من المال العام و الخاص. و قد مركزت المكتبة الكثير من أقسام مكاتبها الخلفية في البناية، مثل التصوير الرقمي و الصيانة، كما جرى مؤخراً افتتاحها باعتبارها (مركز خدمات المكتبات Library Services Center).

و في مقابلة أوضح رئيس المكتبة، بول ليكليرك، أن البناية الجديدة كانت جزءاً من جهد لدمج وظائف كثيرة للبحث و تدوير أو توزيع المكتبات. و قال : " لقد ظلت هذه لمئة سنة أنظمةً مكتبية منعزلة كلّياً، و هو أمر غير واقعي و غير قابل للاستمرار ". و مع أن الأنظمة تبقى منفصلة من بعض النواحي، مع مكتبات التدوير المدفوع لها من أموال المدينة و مكتبات البحث ذات التمويل الخاص، فإن الكثير من الأقسام قد تم دمجها. و في السنتين الأخيرتين قلّل نظام المكتبة العامة عدد أفراد الجهاز الوظيفي بنسبة ١٥,٦ بالمئة، من خلال الدمج إلى حد ما.

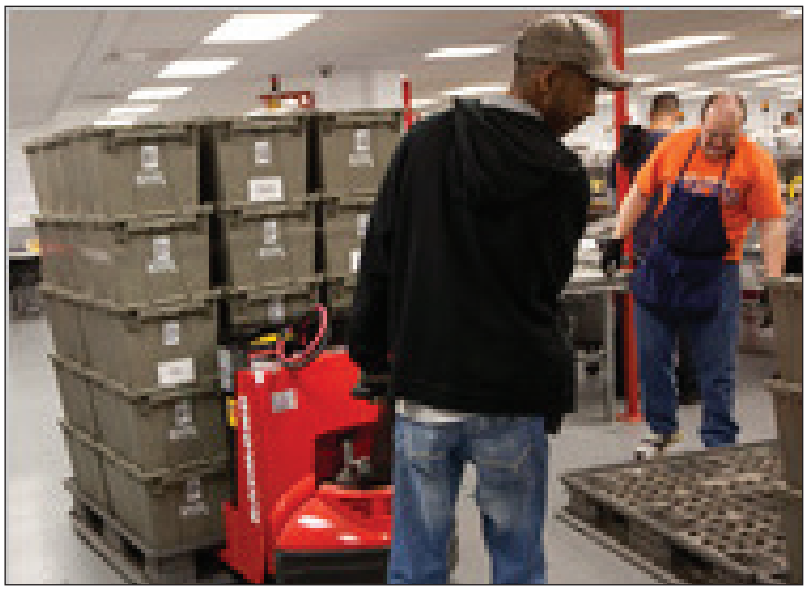

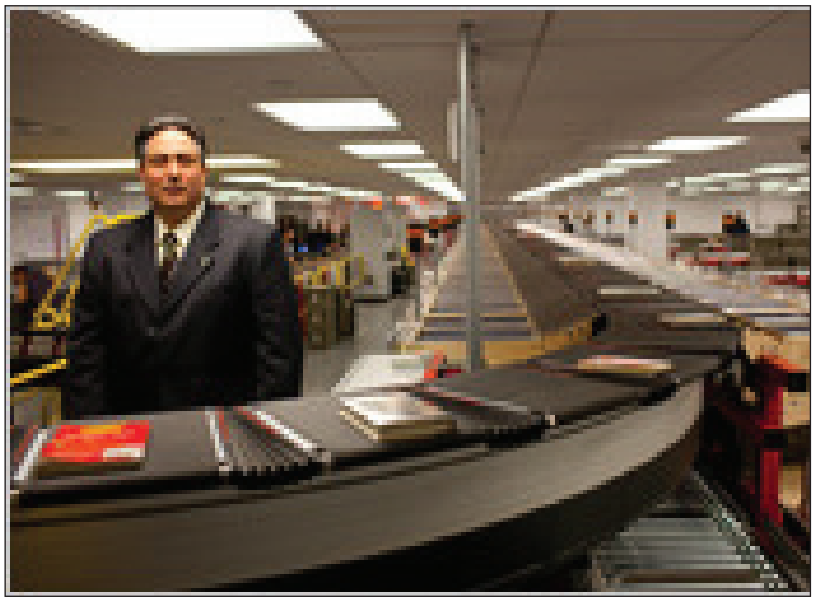

و على الطابق الأول من البناية المجدَّدة، على سبيل المثال، تجد الأشخاص الذين يطلبون و يفهرسون الكتب للنظامين يجلسون جوار بعضهم البعض الآخر، و يسمح لهم ذلك بالعمل معا، كما كانوا يفعلون في طلب و فهرسة أو تدوين مجموعات الفرع الجديد في باتري بارك سيتي.

أما الطابق الثاني، فيؤوي موظفي قسم التصوير الرقمي، الذي كانوا في السابق في المكتبة الرئيسة في " الجادة الخامسة".

و كان هناك في أحد الأمسيات الأخيرة موظف يقوم بواسطة سكانَر بتصوير صفحات كتاب صيني من القرن التاسع عشر، كان قد قام بتنظيفه مؤخراً أحد العاملين في الصيانة، بينما كان عامل آخر يقوم بتصوير خرائط مدينة نيو يورك. و سيكون الأمران في النهاية متاحين في الرواق الرقمي على موقع المكتبة في الانترنيت nypl.org.

و أخيراً، فإن المصنفة أو الفارزة في الطابق التحتأرضي الآن تعني أنه أصبح لدى السيد ماغادينو في نهاية المطاف ما يكفي من الأيدي العاملة. ففي حين كان مقدار المواد الآتية بشكل متكرر يتطلب منه، في الماضي، استئجار مستخدمين وقتيين، فإن جهازه الوظيفي الثابت البلغ عدده ١٤الآن، يستطيع أن يصنّف بسهولة ٧،٥٠٠ مادة كلَّ ساعة ، أو ١٢٥ كلَّ دقيقة، و نتيجةً لذلك، فإن الوقت الذي يتطلبه الكتاب للانتقال عبر النظام قد تم اختصاره إلى يوم في الأقل، كما قال.

عن / إنترنيشنال هيرالد تربيون

أوراق
العدد (1844)السنة السابعة -الاحد (11)
تموز 2010

صوفيا لورين:
بيتنا مليء بالمرايا

داخل قاعات متحف «الفيتوريانو» التابع لنصب الجندي المجهول في قلب العاصمة الإيطالية روما، اقيم حفل توقيع لكتاب صوفيا لورين (بيتنا مليء بالمرايا)والذي يروي سيرة حياة نجمة السيما الشهيرة ويسلط الضوء على مرور خمسين عاماً على عملها في السينما، ،وحوى الكتاب اكثر من من ٥٠ صورة نادرة لها

ويأتي الكتاب ضمن احتفالات تقيمها ايطاليا بذكرى مرور ٥٠ عاماً على عمل لورين بالسينما،لتقدم في عدد كبير من دور السينما في مدينتي روما ونابولي، عروضاً لأفلامها السينمائية. كما تساهم القنوات التلفزيونية الرسمية والخاصة بتقديم البرامج والندوات عن عمل وحياة هذه المرأة التي مازالت تتمتع بروح طفلة، مفعمة بالمرح والنشاط، فهي تقول في إحدى المقابلات الصحافية بهذه المناسبة «اقترب من الذكرى بروح معنوية لشخص سعيد جداً بالحياة التي عاشها. ومازلت أشعر بأنني شابة ومفعمة بقوة إيجابية تدفعني إلى عدم التوقف».

وتقول صوفيا التي عانت فقراً شديداً في طفولتها في إحياء مدينة نابولي الفقيرة، وهي تعد الآن من ثريات إيطاليا بأن « وهو يوم عيد ميلادي، سيكون مثل أي يوم آخر، ذلك لأني ومنذ ثلاثين سنة لا احتفل بعيد ميلادي».

لم تعتزل صوفيا التمثيل هي التي جسدت لجيلين، منذ منتصف القرن الماضي حتى مطلع ثمانيناته، صوراً مثيرة للمرأة المكافحة، المضطهدة، الثائرة، صاحبة الأنوثة الصارخة، فكان فيلمها الأخير «بين غريبين» الذي أنجز عام٢٠٠٥من اخراج المخرج إدواردو بونتي (من زوجها المنتج الراحل كارلو بونتي)، بمثابة تأكيد جديد على قدرتها المتفوقة كفنانة قديرة.

جوائز سينمائية عالمية

نشر عن حياة صوفيا عدد من الكتب في جميع أنحاء العالم، وأنتجت عنها مجموعة أفلام تلفزيونية، وعاشت قصة حب عاصف مع الممثل الأميركي الراحل غاري غرانت بعد أن شاركته بطولة فيلم «العاطفة والكبرياء» العام ،١٩٥٧ عملت مع أفضل مخرجي أوروبا وأميركا، واشتغلت مع مخرج الواقعية الإيطالية الجديدة الراحل فيتوريو دي سيكا أربعة عشر فيلماً، حصلت على الأوسكار لأفضل ممثلة عن دورها في فيلم «امرأتين» لـ دي سيكا العام ،١٩٦٢ كما حصلت في السنة نفسها على جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان الدولي. وفي العام ١٩٩٨ منحها مهرجان فينسيا الدولي سعفته الذهبية تقديراً لأدوارها السينمائية كأفضل ممثلة، كما أنها مثلت مع الراحل مارشيللو ماسترويانى أفلاماً عدة، أبرزها «أمس واليوم وغداً» و«الطلاق على الطريقة الإيطالية».

أسرة فقيرة ومتواضعة

ولدت صوفيا العام ١٩٣٤ طفلة صغيرة في مدينة روما من أم كانت تعمل ممثلة وتدعى روميلدا فيلاني، ومن أب مجهول يدعى ماريو شوكولونا، فسميت الصغيرة بصوفيا شوكولونا. وعاشت الطفلة مع أمها في منطقة «بوتسيويولي» التي تقع على التلال في إحدى الشقق القديمة المؤلفة من غرفتين ومطبخ فقط، إلا أنها وبعد أشهر من دخولها عالم السينما غيروا لقبها إلى لورين ليكون مقبولاً سينمائياً. وهذه الأيام، إذ تكمل صوفيا السبعين من العمر، تعتبر في جذور تاريخ وعواطف ومشاعر وأفكار وممارسات الإنسان الإيطالي وهو مهزوم أو خائف أو جائع أو منتصر أو عاشق. سبعون سنة علقت عليها تذكارات لتاريخ الحياة الشعبية الإيطالية بكل أجزائها والتي قدمت نفسها بمجموعة كبيرة من الأفلام وصل عددها إلى أكثر من سبعين فيلماً، كانت فيها صوفيا لورين وكأنها مونولوغ داخلي ينساب في شكل عفوي إلا أن عفويته عكست واقعية كبيرة.

تجاعيد وكآبة.. وقليل من الجمال

نصف قرن من التمثيل في عالم السينما حمل بعض التجاعيد، وقليلاً من الكآبة، التي لا مفر منها لامرأة في هذا العمر تحل في أعماق العيون الخضر الجميلة والتي تعطي الانطباع بأن هذه المرأة «أنا لا أخاف من الشيخوخة، لأن مساعي عملي الفني بنيت على العمل وليس الجمال الجسدي». العام ١٩٥٧ كان أول لقاء لها مع كارلو بونتي، الذي هو زوجها الذي رحل عن عالمنا قبل ثمانية عشرعاما قد تزوجا المرة الأولى في المكسيك ولحقه زواج آخر في فرنسا العام ١٩٦٦ وكان ذلك أحد فضائحها. إلا أنها عادت إلى زوجها الأول لتنجب منه ولدان، وقف الكبير العام ١٩٨٣ إلى جانب أمه في تمثيل فيلم «شيء ما أشقر»، أما الثاني إدواردو فأصبح مخرجاً سينمائياً وقامت هي بدور بطولة أول فيلم روائي له «بين غريبين». تشعر صوفيا لورين بأنها، وبهذا العمر، مازالت تشعر بأنها جميلة رغم تلك التجاعيد، وسمات الذبول اللتين تغطيان وجهها «عندما بدأت بعملي السينمائي جعلوني أفقد صوابي، الأنف كانوا يقولون عنه إنه طويل جداً، والفم كبير جداً والوركان عريضان للغاية.. كانوا يريدون تغييري رأساً على عقب، ولم يتركوني زمناً طويلاً إلا مع هذه التفاهات..».

امرأة قوية ومتماسكة

مازالت هذه المرأة في شبابها الأول، فهي تتذكر كل شيء، خصوصاً الحرب «الحرب والظلام، والقصف والجوع، والجرذان، والزجاج المحطم، وقوة الصمود التي كانت تمتلكها أمي» قوية، صلبة، متماسكة حتى مع مشكلاتها «أنا امرأة أعرف كيف أستجمع مشكلاتي وأحلها لوحدي»، إلا أنها مازالت تخاف من الظلام، لأن الظلام يذكرها «بالحرب والقنابل ورعبها». لها صحة من الحديد «دائماً كنت قوية بصحتي فلي القدرة على التجدد، مملوءة بالحيوية، أصحو كل يوم مبكرة لأمارس حياتي» لها أصدقاء وواجبات كثيرة، وهي معروفة بتواجدها وسط المثليين جنسياً، لأنها تعتقد بأنهم طبيعيون أكثر من غيرهم، وهم يطرحون مشكلاتهم التي يمكنني أن أفهمها وأتجاوب معها، وهم يمتلكون طيبة ووداعة كبيرتين نحوي فأنا أكثر من أخت لهم».

منحازة لليسار الإيطالي

صوفيا لورين لم تصوت في حياتها لأي حزب سياسي، ولكنها إن حتمت الظروف لتذهب يوماً ما لأجل الإدلاء بصوتها فهي بالتأكيد ستصوت لليسار الإيطالي. في كتاب «صوفيا.. حياتها وحبها» تتكلم عن زميلها وصاحبها الممثل الراحل مارشيللو ماستريانى فتقول عنه «هو وأنا نشكل جسداً واحداً. الخسارة أن هذا الرجل لم يعرف كيف يعيش حياته بعزم». أما الممثل الإنجليزي الراحل ريتشارد بيرتون الذي كان أحد من هاموا بحبها، وقال عنها ذات مرة بأن صوفيا «جميلة مثل الحلم البطولي مع فم واسع شهي وكريم، وهي مثل الريح العاصفة، ومرات باردة مثل الذهب وأخرى مثل رغيف الخبز»، فهي تقول عنه «لقد أحبني كثيراً، وأنا احترم قدراته العظيمة كممثل بارع».

خمسون سنة من العمل الفني في السينما والمسرح، عشرات البيوت في أجمل مدن العالم وأكثر من عشرين سيارة، وثياب من أرقى مخازن العالم وقبعات ملكية، وأكثر من هذا الانتظام مع كل شيء، تهوى الأدب وتطالع بأربع لغات عالمية وهي بغناها تدفع ثمن الفقر الذي عاشته أيام طفولتها وصباها.

**'بيتنا مليء بالمرايا
مذكرات صوفيل لورين**

صوفيا صوفيا لورين لم تصوت في حياتها لأي حزب سياسي، ولكنها إن حتمت الظروف لتذهب يوماً ما لأجل الإدلاء بصوتها فهي بالتأكيد ستصوت لليسار الإيطالي. في كتاب «صوفيا.. حياتها وحبها» تتكلم عن زميلها وصاحبها الممثل الراحل مارشيللو ماستريانى فتقول عنه «هو وأنا نشكل جسداً واحداً. الخسارة أن هذا الرجل لم يعرف كيف يعيش حياته بعزم». أما الممثل الإنجليزي الراحل ريتشارد بيرتون الذي كان أحد من هاموا بحبها، وقال عنها ذات مرة بأن صوفيا «جميلة مثل الحلم البطولي مع فم واسع شهي وكريم.

علوم الحرية

من الكلمات الشائعة عن رئيس الوزراء البريطاني الأسبق تشرشل قوله: «إن الديمقراطية هي أسوأ أنظمة الحكم، باستثناء جميع الأنظمة الأخرى». مؤرخ العلوم الأميركي تيموثي فيريس يوظّف لحسابه هذه الجملة عن فضائل الأنظمة الديمقراطية كي يقول بوجود نوع من التواكب، بل التلازم، بين الحريّة وتقدم العلوم. بل يذهب إلى حد القول إن العلم الحديث والديمقراطية الحديثة عرفا تطورا «متوازيا» في العالم الغربي منذ ٣٥٠ سنة.

ولا يتردد المؤلف في التأكيد أن مثل هذا «التلازم» ليس أبدا محض مصادفة كما يقول البعض. ويقول إن التاريخ يثبت ذلك بوضوح. يقول: «إن الثورة الديمقراطية هي التي حرّضت على قيام الثورة العلمية وأن العلم لا يزال عاملا أساسيا في نشر الحرية السياسية اليوم». بمعنى آخر الازدهار العلمي يولّد البحث عن الحرية والحرية تمثل مناخ الازدهار العلمي. وهذا ما يعبّر عنه المؤلف بوجود رابطة وثيقة، علاقة السبب والنتيجة بالتبادل، بين العلم والليبرالية. ثم إن علماء متنورين من «جون لوك» إلى «غاليلي» ساهموا إلى حد كبير في إخراج البشرية من عصور الظلمات التي كانت تعيش فيها. ويلجأ المؤلف بصورة منهجية إلى محاولة التأريخ للتقدم الإنساني «حجرة فوق حجرة» وحيث يتطلب منه مثل هذا العمل الدقيق والشاق تكريس حوالي المائة صفحة الأولى من الكتاب. لكنه يحرص على أن لا يقوم بمثل هذا العمل «الأكاديمي» بصورة «جافّة» بل يستخدم كمّا كبيرا من الحكايات والأحداث التي تعرّض لها العلماء عندما طرحوا أفكارا جديدة على مجتمعاتهم.

هكذا يشرح مثلا أن الآباء المؤسسين للولايات المتحدة «الجدود» كانوا بأغلبيتهم من ذوي النزعات العلمية التي لم تكن بعيدة عن «ذهن الحريّة» لديهم. فتوماس جيفرسون كان قد اخترع

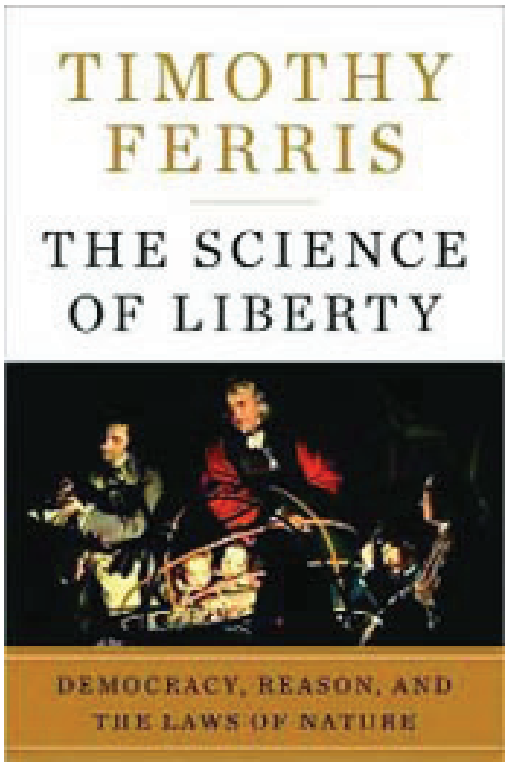

«آلة لرفع الأثقال» وبنيامين فرانكلين أقام صلة بين الكهرباء والصاعقة عبر استخدام خيط من الحرير وطائرة من ورق. ومثل هذا الكثير من القصص البسيطة المألوفة التي يعطيها المؤلف أهمية كبيرة من حيث دلالاتها في الفترة التي ظهرت فيها.

بالمقابل يرى المؤلف أن العلم قد حقق تقدما كبيرا في مسيرته خلال القرن العشرين. هذا على رغم عمليات «الكبح العلمي» التي قامت بها الأنظمة ذات الطبيعة الدكتاتورية. ويتحدث المؤلف عمّا يسميه «معاداة العلم» لدى النازية ولدى الثورة الشيوعية الصينية.

ذلك أن العلم قوبل بقدر كبير من القمع الصارم والتوظيف الإيديولوجي البعيد عن مناخ الحرية. إن المؤلف يكرّس كذلك عددا من الصفحات لما يعتبره نوعا من النزعة المعادية للعلم ومن التقاليد البعيدة عن اللبرالية في حقبة ما بعد الحداثة، وذلك تحديدا في الأوساط الجامعية التي يتم التعامل فيها أحيانا بذهنية «الاستعباد» حيال الباحثين والطلبة. هذا في الوقت الذي يستدعي فيه التقدم العلمي قبول تناقض الآراء بحثا عن الحقيقة بكل موضوعية.

وينقل المؤلف عن الفيزيائي «لي سمولن» قوله: «إن العلم يأتي من تصادم أفكار متناقضة ومن نزاعات بين أناس يحاولون أن يحققوا نتائج أفضل من تلك التي حققها أساتذتهم، واعتقد أن مثل هذا الأسلوب يمثل نموذجا لمجتمع ديمقراطي تتواجه فيه الأفكار وتتفاعل». وبنفس المعنى تقريبا يؤكد تيموتي فيريس أن «العلم لا يزدهر إلا في أوساط الحريّة».

المطلوب هو إذن تشجيع التجريب وإفساح المجال حرّا من أجل سبر مضامين الأفكار الجديدة والاستماع إلى أصوات جديدة واستخدام طرق مبتكرة. والمهم في هذا كله أن تكون «مصلحة البشر» هي الهدف المنشود الذي يتم البحث عنه. وهذا هو أيضا هدف الحرية.

ومن المسائل التي يحاول المؤلف البرهان عليها في هذا الكتاب، للتدليل على العلاقة «العضوية» بين العلم والحرية قوله أن الأفكار العلمية لغاليلي غاليليو وإسحاق نيوتن كان لها تأثير كبير على الأفكار الفلسفية لجيمس ماديسون والكسندر هاميلتون. وبالتالي على أفكار عصر التنوير لاحقا وكذلك على توجيه الولايات المتحدة نحو تبنّي المنظومة الديمقراطية. وبهذا المعنى يتحدث المؤلف عن «دور العلوم في تثبيت مفاهيم الحريّة». وما يرى أنه يشكل صميم تحليلات هذا الكتاب.

الكتاب: علوم الحرية
تأليف: تيموثي فيريس
الناشر: هاربر نيويورك

الكاريكاتير في مصر

يرصد هذا الكتاب تاريخ فن الكاريكاتير منذ نشأته في مصر القديمة، حيث يرجع المؤلف تاريخ نشأته إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وحتى وقتنا الحالي.

ويبين كامل في استعراضه لفن الكاريكاتير في مصر القديمة، أنه يتمثل في العديد من الرسوم التي عثر عليها على أوراق البردي أو قطع الفخار، وبعضها محفوظ في كثير من المتاحف، وهي توضح مدى قدرة وبراعة الفنان المصري القديم على التعبير الساخر واللجوء إلى الرمز، وذلك بتصوير الحيوان وخلع صفات الإنسان وسلوكه على هذا الحيوان، في رسوم بالغة الدلالة على ما يرمي إليه. ومن التاريخ المصري القديم ينقلنا المؤلف إلى فن الكاريكاتير المصري المعاصر والذي يؤرخ لبداياته بالحملة الفرنسية على مصر، حيث كانت الصحافة المصرية، على ما يذكر المؤلف، معرضاً جميلاً للأفكار التي أتت بها الثورة الفرنسية، وتجسدت كأداة صالحة لنقل هذه الأفكار.

ويقسم كامل فن الكاريكاتير في هذه المرحلة، إلى الكاريكاتير السياسي والكاريكاتير الاجتماعي، لافتاً إلى أنه كان من أبرز العوامل التي ساعدت على ازدهار هذا الفن، تطور الطباعة التي أتت بها الحملة، ثم عززها محمد علي، من خلال مطبعة بولاق ومطبعة مدرسة الطب بأبي زعبل ومطبعة الطوبجية، فضلاً عن مطبعة الديوان الخديوي والقلعة، إلى جانب العديد من المطابع الخاصة في ذلك الوقت.

ثم يتناول المؤلف قضية الصحافة الفنية في مصر ونشأتها وتطورها، منذ الحملة الفرنسية وحتى عصر مصر الدستورية عام ١٩٢٤، فيذكر أنه من الصحف التي نشأت آنذاك صحيفة «هليوبوليس» و«كايرو بروجرام» ومجلة «إيزيس» ومجلة «لوفوريه».

وتعددت أساليب وموضوعات الكاريكاتير في الصحافة المصرية عبر تاريخها الطويل، ويؤكد كامل أنه في هذه المرحلة يمكن تصنيف رسامي الكاريكاتير حسب السمات الفنية والسياسية، لما قدموه من أعمال إلى مدارس في العصر الحديث، ومن أهم هذه المدارس: مدرسة روز اليوسف، مدرسة أخبار اليوم، مدرسة الجمهورية. وكان لكل منها ميزات وسمات محددة.

مصطفى عبدالرازق
الكتاب: الكاريكاتير في مصر
تأليف: عادل كامل
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

خزانة المدى

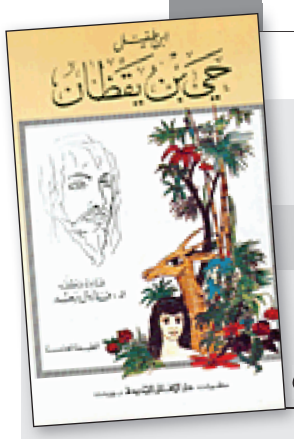

باسم عبد الحميد حمودي

حيّ بن يقظان لابن طفيل

مؤلف هذه القصة الفلسفية (التي الّف مثلها ابن سينا والسهروردي)هو الفيلسوف الاندلسي محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل ، ولد شمال شرقي قرطبة في السنوات العشر الاولى من القرن الثاني عشر للميلاد ، ودرس العلوم الدينية والفقه والعلوم العقلية وفي مقدمتها الطب الذي مارسه ثم اشتغل كاتبا في ديوان عامل غرناطة فترة من الزمن .

افضل فترات حياته العملية تلك التي قضاها في خدمة يوسف القيسي ، سلطان الموحدين حيث اصبح وزيره وطبيبه الاول ، وقد كان السلطان ابو يعقوب يوسف محبا للعلم والعلماء وقد قام أبن طفيل بالبحث عن افضل الملاكات الفكرية وجلبها الى بلاط السلطان وفي المقدمة منهم ابن رشد ، وكان السلطان يتعاطى معهما معطيات الفلسفة وفلسفة ارسطو طاليس على وجه الخصوص ويناقشهما ويسواهما حتى ضعفت حال ابن طفيل الصحية فتقاعد عن العمل اليومي وتولى منصبه كطبيب أول ووزير صديقه أبن رشد ، وبقي ابن طفيل على مكانته الاجتماعية عند السلطان وعند السلطان ابي يوسف يعقوب حتى وفاته في مراكش سنة١١٨٥ م

لابن طفيل مؤلفات في الطب والفلك ويقول تلميذه البطروجي انه عثر على نظام فلكي وتحليل لحركة الافلاك على نحو مخالف لتفسير بطليموس

حي بن يقظان

اهم كتب ابن طفيل واكثرهاتقديرا وامتاعا وقد حققت مرارا وترجمت الى اللغات الحية لتحقق على نحو فلسفي رحلة الانسان حالة كينونته .

حي بن يقظان عثر عليه طفلا ملفوفا في قماط وسط تابوت حط على جزيرة في البحر الهندي فحنت عليه ظبية ارضعته وحمته حتى شب عن الطوق ليعيش مع الحيوانات ويكتشف طباعها وحياتها وموتها ، وتعلم من الطبيعة كسوة نفسه وعاش صدمة الموت عندما ماتت امه الظبية امامه ولم يهتد الى سر رحلتها الابدية لكنه قام بدفنها ، مستمرا في رحلة حياة وسط طبيعة قاسية اكتشف فيها معنى البرد والحر والنار والنجوم والاضواء واختلاف الاجسام والاشكال في رحلة عقلية فريدة استمرت خمسين عاما .

بعد الخمسين وصل جزيرته فتيان من اهل الخير والعلم هما ابسال وسلامان فاقتفيا اثره وتابعاه حتى اطمأن اليهما وبدا معهما رحلة معرفية اخرى تجلت في مناقشاته معهما وفي وصوله الى الحياة الاجتماعية التي كان يفتقدها .

كان ابسال رمزا لرجل الدين الباحث عن المعاني الروحانية وكان سلامان رمز رجل الدين المتعلق بظواهر الدين فيما كان ابن يقظان رمز العقل الانساني المتحرر، وكانت رحلة المعرفة بينهم رحلة ممتعة ومثمرة فلسفيا ودينيا

اثرت حكاية ابن طفيل هذه في اوربا فلسفيا ودراميا واستخرجت منها افلام ومسلسلات منها طرزان – رجل الادغال –روبنسن كروزو، وغيرها.

أوراق
العدد (1844)السنة السابعة -الاحد (11)
تموز 2010

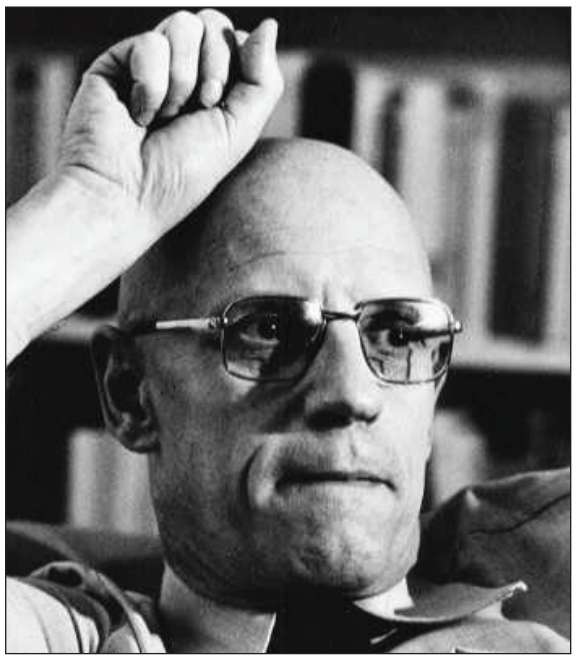

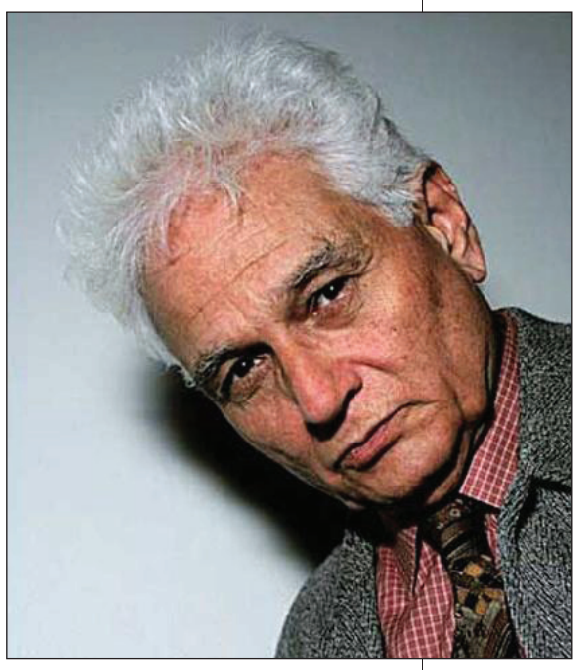

في السخط

ألف باتومان
ترجمة:أمير دوشي

((لاشك أننا نعيش أزمة غريبة)) هكذا يبدأ كتاب إليزابيث رودنيسكو " الفلسفة في أزمة مضطربة" . والكتاب قراءة لزمن متمرد غريب ، يبدأ بمدخل من خمس صفحات جدال ضد روح عصرنا . مع أو ضد جان بول سارتر ..؟ مع أو ضد رايمون أورن .. ؟ هل علينا أن نسلط الضوء على أيار ١٩٦٨ وأفكاره (ثورة الطلبة)...التي ينظر أليها الآن كأمر يتعذر فهمه ، نخبوي ، خطر، وضد الديمقراطية ؟ هل أصبح أبطال تلك الثورة كلهم باحثي لذة، برجوازيين صغار رأسماليين من دون ايمان أو مبادئ. أو ليسوا كذلك! الأب قد توارى، لكن لماذا ليس الام؟ في النهايةأليست إلام في الوقع الحال أب والأب أم؟ لماذا لا يفكر الشباب بأي شيء؟ لماذا الأطفال لا يطاقون؟ أيعود ذلك للتلفزيون؟ أو الخلاعة، أو الكتب الفكاهة؟...والأمهات : هل هن قادرات على الإشراف على العمال الذكور بذات الأسس كالرجال؟ والتفكير مثل الرجال ليصبحن فيلسوفات؟ هل يملكن نفس الذهن، وذوات العصبون (وحدة عصبية تتألف من الخلية العصبية وملحقاتها)، وذات العواطف، ونفس الغرائز الإجرامية ؟ هل كان المسيح عاشقاً مريم المجدلية ، وأن كان كذلك ، هل يعني ذلك أن الدين المسيحي منقسم جنسياً بين قطب أنثوي خفي وأخر ذكوري مهيمن ؟ هل دب الفساد والانحلال في فرنسا ؟ هل أنت مع سبينوزا ، دارون ، غاليلو ، أو ضدهم ؟ هل أنت منحاز للولايات المتحدة ؟ أولم يكن هايدغر نازياً ؟ هل كان ميشيل فوكو ممهداً لابن لادن؟ ، وديلوز مدمن مخدرات ....؟ فعلاً أو يختلف نابليون عن هتلر؟ هل تعتريك هذه الأسئلة ك (نقطة القاع المطلقة للاستفهام المعاصر)؟ هل تفصح عن إدراك لامراض اللحظة الثقافية المعاصرة؟ هل تود أن تسمع أكثر منها؟ هل ترغب بأجراء لقاء طويل مع أحد ما يفكر بنفس الطريقة؟ ان كنت كذلك فأنك ستستمتع بالترجمة الانكليزية الحديثة لكتاب رو دنيسكو، مؤلفة كتاب لاكان ، ولماذا التحليل النفسي. وأن كان الأمر بـ (كلا) فأنك مع ذلك قد تستمتع بأجزاء من الكتاب .

تملك رودنيسكو ملكة روائي لتقطر الهذر المبعثر للوسط السوسيو- تاريخي إلى تقرير موجز بليغ. كيف بتقشف تخوزق رواية شفرة دافنشي ! غالباً ما يذكر للمرء بكتاب فلوبير ((معجم الأفكار المجمع عليها))

((Dictionary of Received Ideas))

((الروايات : تحرف الجماهير ، الطلاب كلهم يدخنون الغليون في الشوارع ، ولا يدرسون شيئاً)) فرودنيسكو مثل فلوبير مستاءة من الخطاب الفكري الذي وبشكل متزايد مماثل لدفتر الأستاذ الواسع مليء بالمداخل للأشياء والبشر الذين قد أصبحوا أشياءا .

<دفتر الأستاذ : دفتر الحسابات لدى مؤسسة تجارية ويكون طويلاً وقليل العرض>.

فلوبير الهجاء دفن بوفاري وبيكوشيه أحياءا تحت سيل من الأسماء والأشياء والمنهجيات : رودنيسكو الفيلسوفة تقدم لنا مجرفة مفاهيمه . ما يلاحظه المرء فوراً بشأن هذه المجرفة هو قربها إلى السيل : كتابها ((الفلسفة في أزمنة مضطربة)) كا نغيلام ، سارتر ، فوكو ، ألتوسير ، ديلوز ، دريدا ، يبدو مشابهاً جداً لدفتر الأستاذ المليء بالمداخل" للناس الذين قد أصبحوا أشياءاً" (هل سيشعر أو يفكر بوفاري أو بيكو شيه بشكل أفضل لو وجدوا مثل هذا الشيء في سقيفة الحديقة؟!). وللكتاب بأجمعه تأثير مشابه ((للحوار أو النقاش)) الذي بدا على أنه أصلا موضوع معارضة أدبية على سبيل الفكاهة. وكما في معجم فلوبير، الأفكار والأسماء تنهمر على صفحات الكتاب مثل سيل الأسئلة والتعليقات المشوشة زمنياً: رودنيسكو هي من صنف الكتاب الذين يشيرون بحبور إلى تراث المفاهيم الفلسفي الذي تنتمي له أسماء مثل .... غاستون باشلار، سبينوزا، هيغل، مونتيسكيو ، وفرويد، وكما في معجم فلوبير المرتب ألف بائياً، فأن رودنيسكو تنتقل من محاجة إلى أخرى على أساس التورية والاستعارة. خذ مثلاً معالجتها لموضوع (التحريفية) الذي تعرفه كواحد من العلل الرئيسية المعاصرة ولأننا مصممون على ((مناقضة فكرة التمرد)) فنعطي مكانة غير مسبوقة ، للهجمات التحريفية على أصول كل مغامرة تحررية : على الحركة النسوية والاشتراكية والماركسية والفرويدية و((كل صنف من النقد للمعيار)) فتربط الكاتبة هذه ((الهجمات التحريفية)) مع إنكار الهولوكوست فتقودها فكرة إنكار الهولوكوست إلى أعادة تعريف التحريفية ك ضرورة لنسبية (جعل الشيء نسبيا)البطولة ، ذلك الذي نفعله عندما ندم المقاومة الفرنسية أو عندما ندعو سلفادور الليندي، عنصريا ومعاديا للسامية ومناصرا لتحسين النسل، من أجل الطعن في الأساطير المؤسسة للاشتراكية في عموم العالم" البطولة والاشتراكية والتمرد تحولت إلى مترادفات ومدخل دفتر الأستاذ ل ((التحريفيه توحد إنكار الهولوكوست ورأسمالية السوق الحر والتحليل النفسي لروائيات ودراسة طب الأعصاب لفروقات الجندر مع النقد الشديد لسلفادور الليندي)).

تلك أمراض عصرنا، التخبط بين كشف الرؤيا والحالة الطبيعية. هل نحن في أزمة؟ فعلى أحد الإطراف، ترفض رودنيسكو ((المنظور ألكوارثي)) لأولئك الذين أعلنوا نهاية التاريخ نهاية الإيديولوجية نهاية شموخ الافراد، نهاية الفكر، نهاية الجنس البشري، ونهاية كل شيء وأولئك الذين يدعون لتحمل مشاهدة توعك جديد في الحضارة وعلى الجانب الاخر ذلك تبدو أقرب ما يكون من الفتور النفسي الذي تدعي أنها تشاهده: أبداً لم تكن المعاناة النفسية أشد تركيزاً مما هي عليه ألان: العزلة، استخدام العقاقير المربكة للعقل، الضجر، الإنهاك، الحمية، السمنة، تطبيب كل ثانية من الوجود، أما ما يخص المعاناة الاجتماعية..... بدو وبشكل متواصل في صعود، على خلفية بطالة الشباب ، مأساة إغلاق آلاف المصانع.

متحرراً من القيود الأخلاقية ، يمارس الجنس ليس كقرين لرغبة بل كأداء وكألعاب رياضية وكوقاية صحية للأعضاء ... كيف يصل المرء إلى الذروة ويصل شريكه أليها؟ ما هو الحجم المثالي للمهبل والطول الوافي لعضو الذكورة ؟كم مرة ؟ وكم شريك في طول الحياة، وفي الأسبوع ،في اليوم الواحد دقيقة بعد دقيقة؟... يبدو من المستحيل عدم الاستنتاج في هذا الشغف للتحليل النفسي للوجود.... أن ذلك يساهم في زيادة اللاتسيس، التعبير الأشد لما دعاه فوكو وديلوز ((الفاشية اليومية الصغيرة)) لكن كيف أمكن لرودينيسكو أن تعلم أن كان زيادة المعاناة الاجتماعية والنفسية قد سببتها السمنة والشباب والعاطلون وغلق المصانع وزيادة الوقاية الصحية للجنس؟، يعجب المرء لهذه الطفرة، بدلا من أن يكون سبب ذلك طاعون دبلي: (مرض معدي يسبب أوراماً ملتهبة في منطقة أصل الفخذ أو الإبط) أو محاكم التفتيش الاسبانية أو تجارة الرقيق ؟ ألم تعوض أي من المكاسب خسائرنا ؟ فبسبب الوقاية الصحية أصبح الجنس أقل تلقائية ... لكن ألسنا كلنا مصابين بالسفلس (السفلس تقريباً كل فرد مصاب) المفارقة المروعة للجدال الفوكو ي المناهض للتطبب هي أن فوكو نفسه قد مات بالايدز في عمر السابعة والخمسين - ذلك أنه لم يمارس الجنس السليم ولم يعلم بأن انتقال ((HIV)) ألا قبل شهور قليلة من موته . (بل حتى قيل أن فوكو أصلاً قد استهان بالايدز كمرض أسطوري يستهدف الشاذين جنسياً اختلقته الطبقة العليا الطبية للسيطرة على الجنوسية <اشتهاء أشخاص من نفس الجنسين وبهذا الفهم فأنه قد كان ضحية نظرياته التآمرية،) بكلمات أخرى كنا قد انتفعنا كثيراً لو كان فوكو قد خضع للطبيب والوقاية الصحية.

الفاشية الصحية تظهر في قاموس أكسفورد للغة الانكليزية ، تملك بالتأكيد حقيقة تجريبية فليس أمراً غريباً أن تخبر بأن عليك الإقلاع عن التدخين وعدم شرب القهوة والذهاب غالباً إلى النادي الرياضي وبانتظام إلى الفحص الطبي عن السرطان. ما من أحد يرغب في الجلوس على المنضدة المعدنية مرتدياً العباءة البيضاء منتظراً قدوم الطبيب ،الذي هو بشكل متزايد من المحتمل أن يكون أكثر شباباً منا . لكن من هو الفاشي هنا : المؤسسة الطبية أم الجسد البشري ؟ ما الذي بوسع الطبيب عمله أن كانت أجسادنا تشتهي أشياء، تكون مؤذية لنا!

لو خضعنا للمعايير الأخلاقية والجمالية المحددة اجتماعيا تحت الستار البايلوجي منها ، هل يكون العامل البايلوجي مسؤلاً حقاً! شخصياً، أنا ألوم مجلات الموضة، وفقاً لمجلة ((٥٩)) الوزن المثالي للمرأة هو ١١٠ باوند، لذا من يكون وزنها بين١٢٥ و١٦٥ باوند ستكون أعلى من البنية الطبية العليا. هل من أحد يدفعنا لقراءة هذه المجلات: بالمناسبة ذات المجلات هي من يأمرنا أن نكون في ذروة اللذة الجنسية دائماً ! (ما من كلمة بشأن ذلك من مكتب الجراح العام) لكن هل فعلياً العيش في ثقافة تنتج مجلات الموضة هو مصدر تعاسة غير مسبوقة! في عام ١٩٥٨ قاد الكبت للأفكار الجنسية إلى بلية عصبية هستيرية، في عام ٢٠٠٤ استحوذت علينا فكرة الحصول على ذروة اللذة الجنسية الكافية بسب الأفكار الطبية الجنسية! بأي كيفية من اليقين العالي يقول المرء بان الأشياء قد أصبحت سيئة!

يبدو إن الكثير من بلايانا الحديثة قد كانت هنا وهناك لزمن طويل جدا ، خصوصا في فرنسا- لنقتبس معجم فلوبير مرة أخرى ؛ العاب رياضية : لايستطيع المرء أن يؤديها بما فيه الكفاية، تنهك الأطفال؛ "الوقاية الصحية " تمنع اعتلال الصحة. عدا التي تسبب بها " ميل رودنيسكو لان تبدو مثل معجم القرن التاسع عشر التهكمي لم ينفع كثيرا دعواها بالمجايلة الحاذقة . سلفا يحتوي معجم فلوبير مثل هكذا ممارسات رئيسية وثانوية في التعريفية كدفاعه عن (العبودية واحتفائه بالرقابة. وكذلك يحتوي على كوارثية والارتياب براسمالية السوق الحرة التكنوقراطية ومناهضتة للأمركة " لن تعود هناك أي أفكار ودين وأخلاق . ستغزو أمريكا العالم ").

يبدو ان رودينسكو لاتصف أزمة راهنة بل قضية (الطبيعة البشرية) في فترات بعيدة . حقا إن فلوبير الذي يعتبره بعض الماركسيين روئيويا ماركسيا، قد أنجز نصيبه من الاحتجاج على ألازمنة الحديثة: شكواه محددة تاريخيا في تفاصيلها ، وتوفر مادة لتاريخ فوكوي للشكوى : متى- بدقة- يصبح الأطفال غير محتملين؟ (بالتأكيد، ليس بعد القرن التاسع عشر، ومن المحتمل قبله لم يعد هنالك من أطفال، (كتب موليير في ١٦٧٣)، لكن هدف فلوبير الأولي قد كان أكبر ، ليس له صورة معينة، وتقريباً بدون زمن ((الغباء الإنساني)) يكتب فلوبير في ١٨٧٥ ((هوة بدون عمق، والمحيط الذي أشاهده من نافذتي يبدو هادئا وصغيرا مقارنة به التضمين هو أننا نملك ارتفاعات تاريخية متدرجة من الكوارثية والغباء والشكوى أقل من تلك الحزمة الحمقاء والكوارثية من المتذمرين)).

رغم ذلك تعزو رودينسكو حماقتنا مثل تعاستنا ، إلى أسباب سياسية- بالتحديد إلى الفاشية. هي منافح قوي عن (التسييس) الذي يظهر أنها تعني به اعادة تعريف كل شيء لا يرغب به المرء بأصطلاحات الرايخ الثالث وهكذا فأن العلم العقلي الذي يستخدم الأسباب البايولوجية والعصابية أو الدماغية لتفسير الفروقات الغريزية المفترضة بين الأجناس والأعراف يتحول ليصبح مجرد خطوة بعيدة عن علم الصحة الوقائية الذي هو مرادف للنازية! وقياساً على ذلك، يصبح كل علم يساوي بين العقل والذهن فاشيا.

كالاعتقاد بأن الصحة العاطفية يمكن تحديدها بالممارسة الجسدية وهكذا يتحول علم الأعصاب وعلم التحليل النفسي إلى عقاقير وتصبح التمارين الرياضية ليس أكثر من ما يدعوه الماركسيون التشيوء : معاملة البشر كأشياء .

من المحتمل أن النقطة الفكرية التي تحتاجها رودونيسكو

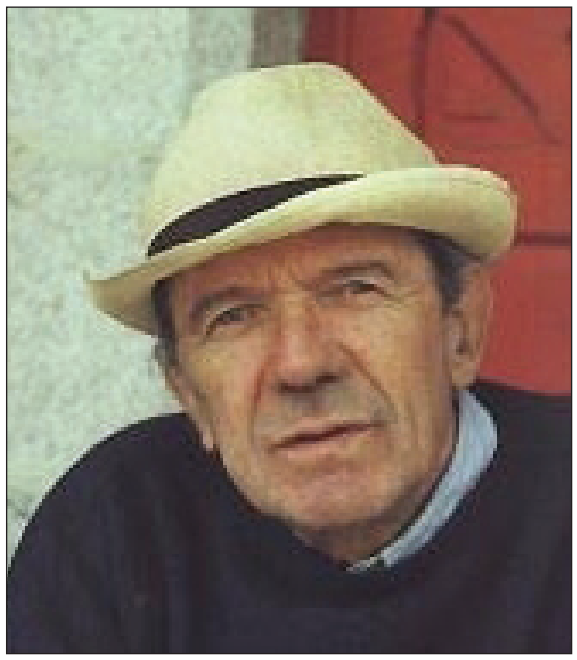

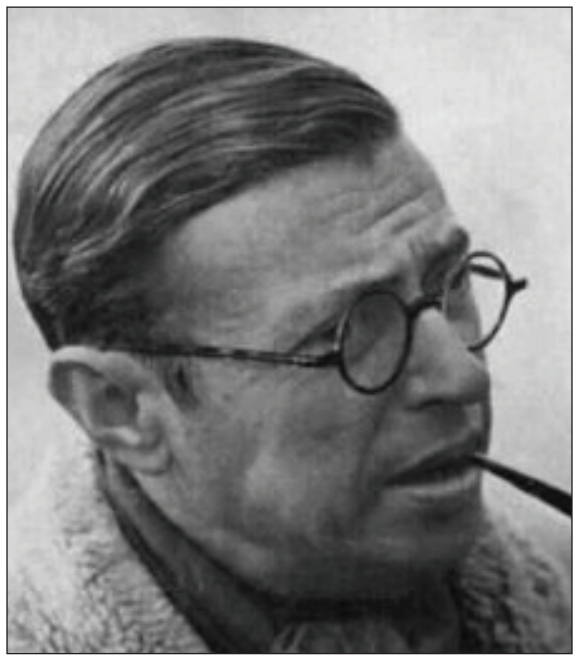

لقرائها، ناطقي أللغة الانكليزية، هي ان ننظر على الأقل فلسفياً إلى فكرة الفلسفة (القارية) كوسيلة لمكافحة الامراض الاجتماعية وذلك أن كل مشاكلنا قد سببتها الفاشية والتشيوء، لذا يمكن معالجتها عبر ضرب من الفلسفة ممثل بجيل ما بعد الماركسيين الفرويديين، فلسفات الالتزام، الذي تميز بالرفض التصنيفي (لخدمة مشروع تطبيع الكائن البشري) وفصول كتابها الستة ليست مراجعة أو تقديما لهولاء الفلاسفة مدار البحث: تخصص رودينيسكو فصلا واحدا لكل فيلسوف، وقوة الكتاب تكمن في أنها غالباً ما تختار نصوصا مجهولة نسبياً لهؤلاء الكتاب الذين تمت مناقشتهم كثيراً .

في فصلها الأخير، عن دريدا وكتابة "كتاب الحداد"، يفهم المرء عن ماذا تكتب رودنيسكو: أنه عن نهاية شيء ما : نهاية مغامرة كبيرة، تفكك مجموعة الأصحاب الذين شهدوا الهولوكست والكولاغ، الذين عاشوا وماتوا مؤمنين أن القلم قوي كالسيف . هذا الفصل مثل الفصل عن ديلوز، يتكون من عشر صفحات، لكنة لا يبدو على عجل ، أنه لا يدعي مساهمة دريدا في خطاب الفرويدية والماركسية والسياسة، أو خطاب الفرد. أنه مرثية، إلى جيل وتأمل الحالة المأساوية للصداقة: المعرفة المشتركة، التي بكلمات دريدا ، سيرى المرء زهر الرند الأخر ، تكرم رودنيسكو التفكيكي العظيم ، عبر تأمل قصير في الكلمات

.Adieu، a Dieu، and au revoir

الوداع والرب، ومراجعة، قبل أن تتحول إلى رواية الفرسان الثلاثة ، التي يتبين في النهاية أنها عن محنة الصداقة:، أي من الأصدقاء الاربعة سيغادر أولا؟ وأي من الأصدقاء سيقول وداعاً الى الأخر؟ ذلك هو السؤال الكبير الذي تعرضه الرواية، استحضار الفرسان الثلاثة، يعزز الانطباع العام عنه خفة ظل، رودنيسكو الملغزة – الملغزة بالنسبة لشخص مثلي.

لايتفق مع أغلب ما تقوله، وجدت نفسي أتخيلها، بحبها، للمغامرات المعتقة، والمبارزات الفكرية، ولواءاتها، الشديدة، وتأكيداتها المبالغة، مثل راعي بقر ثمل ، ذلك الذي لا يتعاطى أدوية من طبيب ، أو الحكومة بسبب أن شريف المقاطعة يريده خلف القضبان ، ذلك الذي يناصر أصدقاءه ، لكنه يعلم طوال الوقت ، بأن أيام راعي البقر الحقيقي قد ولت .المشكلة أن رودنيسكو حتى في قمة رثائياتها ، تستمر في المحاولة لجرنا ، نحو نتيجة مفزعة ، شيء مثل القسم الأول ، كان الأسوأ تشخيصها لكتاب دريدا ، "أطياف ماركس"من الأفضل أن يسمى"الماركسية الثانية: لم تمت بعد"، وبدلاً من الانعطاف نحو الماضي أو بعث الحقبة الماضية بحنين، يبدو أنها دعوى لصدام جديد، ضد القوة المنتصرة للعلوم التقنية، التي تستخدم ذريعة نعي الحقبة الماركسية، لغرض نظام معولم لا يكون فيه الإنسان أكثر من قطعة بضاعة استهدفت استعباد كل المرارة الشديدة التي زينت على أنها تحقيق المثال الديمقراطي.

في هذه الدعوى برق خلب أجوف .هزم هتلر وستالين ولم تصبح الأشياء كاملة، بصورة حقيقية، لكن ذلك لا يعني أن النازية لم تنته، وأن نازياً قد أستبدل بأخر، أو أن طفلاً نازياً، مثل الغريب، ظهر من خلف النازية القديمة. "الفاشية المجازية" للسوق الحر هي لاشيء مقارنة بفاشية النازية، وعندما تقتبس رودنيسكو إعلان دريد "لا حصيلة من التقدم تضمن لنا أن نهمل حقيقة ، وكلمات مطلقة، أن لا يوجد قط الكثير جداً من الرجال والناس على وجه البسيطة قد استعبدوا وجاعوا أو أبيدوا حينها على المرء أن يشك في سيطرة "الشبحية"، والتلذذ بالرعب.

المرء يشك: لكن كيف بوسع المرء أن يكون متيقناً ؟ ذهبت باحثاً، كما يفعل البيروقراطيون الأمريكان عن ألإحصائيات. رغم أني لم أحصل على أي إحصائية عن استعباد أو أبادية كاملة طويلة الأمد لكني وجدت، في أغلب البيانات، أن الرقم المطلق للبشر المعدمين وتحت خط مستوى، الفقر في العالم قد تراجع في السنوات العشرين الماضية. وأن أتخذ المرء من أفريقيا مقياسا صادقاً عن الوضع الحديث، فهل يمكن أن نعزو مشاكلها، الى الهيمنة والعلوم النفسية الجديدة؟ وأن تسببت العلوم النفسية حقاً في جعل الأمور اسوأ، هل الفلسفة الوجودية، أو التفكيك أو نظرية التحليل النفسي، هي الأدوات الصائبة لمواجهة المد ؟ الذي في(خطر) هو الوجود المستمر لمثل هذه الفلسفات وكما تطرح ذلك رودنيسكو ، كيف للمرء أن يتحول من فلسفة الالتزام . بدون الارتداد إلى رقابة الحياة الشبحية، أدارة هم الحياة فقط؟ يتصور المرء أن فلسفة الالتزام ، لم تفترض مطلقاً، ولا تزال بعد مشكلة "هم الحياة" وكما أعاد ديلوز صياغة ذلك ، الخيار بين بديلين متطرفين: ، أن يتخيل المرء نفسه كأكاديمي ،أو الحلم في أن تصبح مقاتل حرب شعبية "فنزويلي" .

أنها مشكلة حقيقية – كذلك الشعور بعدم وجود رعاة بقر بعد الآن. من المنظور الماركسي، أنها حقاً نفس المشكلة فمثل هذه الكتب المحزنة دفعت فلوبير / وفقاً للوكاش/ إلى معاناة النكبة التاريخية الحقيقية للوصول إلى النضج الإبداعي بعد عام ١٨٤٨ ، في الجهاز الرأسمالي للتصلب البرجوازي ، الموجود سلفاً : عالم بدون أبطال. الصور المفصلة لفلوبير كانت نتاج ،الاغتراب ألاقتصادي، الاجتماعي –ذات الاغتراب الذي أكره (زولا) لأن "يخبر" أكثر من أن" يظهر" : التصور الروائي /الصحفي للرسائل الاجتماعية المشكلة سلفاً في جيل مبكر، كان هناك ، ستندال وبلزاك ، اللذان نالا الفرصة التاريخية. والولادة في لحظة الثورة والتحول ،عاشا وكتبا زمنهما بكل صورة.

يبدوا الأمر حسناً، يمضي بقدر ما. لكن أن يكون ستندال سار شاباً مع الجيش العظيم ،وشاهد حرق موسكو عام ١٨١٢، ولم تتح له الفرصة ليكون قريباً من اللحظة التاريخية ، رغم ذلك كتب رواياته عنه ومن منظور بعد فوات الأوان التاريخي . كتب ستندال في ثلاثينيات القرن التاسع عشر " صادفت نابليون في نيسان عام ١٨١٤ "لكن الظروف المحددة لحياة جوليان سوريل (بطل رواية الأحمر والأسود)قد كانت المرحلة التالية والمتأخرة جداً عن نابليون قبل قرنين من ذلك، في أسبانيا عاش سرفانتس ذات الموقف. بعد ثلاثين عاما، أبتكر متأخراً عن الأوان: دون كيشوت، الذي ولد متأخراً جداً عن عصر الفروسية.

باختصار، الموقف التاريخي لرودنيسكو – ولدت متأخرة جداً عن أوان المقاومة ، وقد عاشت ثورة ١٩٦٨ – تبدو أقل من أزمة مخصوصة ، فيها الحالة العامة للحداثة. بعض الأوقات قد تكون أكثر من "مضطربة"، أو مهمة تاريخية، مقارنةً بأخريات لكن ببساطة ، أن تولد ، وأن تكون شاباً أولاً ، ومن ثم بدون شباب ، فما من أحد منا تجنب التأخر عن الأوان. كما صاغ ذلك ألبرتو أيكو في رواية بندول فوكو ،أن تدخل الجامعة سنة أو سنتين بعد ١٩٦٨: شعور يراودك بأن مولدك كان خطأ ... فأنت دائماً تولد تحت العلامة الخطأ، ولكي تعيش في هذا العالم بشكل لائق، عليك أن تعيد كتابة طالعك يوما بعد يوم.

بندول فوكو هي الحكاية الوعظية لمحرر من بيد مونت (منطقة في شمال غرب ايطاليا)، الذي يعاني الحظ العاثر في أن يبلغ الحادي عشر من العمر عام ١٩٤٣. أنضر من أن يقاتل في المقاومة، وليس من الكبر ليشعر بالجبن ، يدفعه الكرب التاريخي والاشمئزاز النفسي إلى هواية قاتلة: تشكيل نظرية ما بعد تآمرية شاملة تشمل كل فرد من فرسان الهيكل إلى الرايخ الثالث إلى أوهرانا (شرطة القيصر السرية) في البحث عن الخفي في الحوادث الأرضية، لماذا يجعل الإحساس بالتأخر من المرء عرضة لنظرية المؤامرة! بشكل خاص؟ تخيل الأمر هكذا. بطل المستقبل عليه أن يولد في عالم خال من الحياة بدون مغامرات – يعد المسرح الكارتوني ، ويملى بالدمى أمر طبيعي، سيخترع البطل محرك الدمى مثلاً : دون كيشوت elFreston الفريستون ، الساحر الشرير الذي يحول العمالقة إلى طواحين هواء، فقط ليسرق منهم محاولة الوصول إلى المجد. لنقتبس أيكو ،" أن كانت هناك خطة ، اذاً لم يعد منهزماً وجلا جباناً ، ولم يعد فاشلاً في اختيار الواجب " ويعاود الفريستون الظهور في فلم ماتركس ، الشرير الفائق الذكاء الذي يخدعنا بتصور العيش في مدينة الرأسمالية المتأخرة المشبعة الألوان – بينما الحقيقة أن الحياة تجري في بعد اخر، حيث الغيوم السود تغطي سماء المخازن والمعامل ، مشهد هلامي للثورة الصناعية ، فالضحايا كانوا حقاً مغلوبين على أمرهم ، والأرذال جد أشرار . وكذلك فريستون في كتاب رودنيسكو، في شكل الفاشست ، الذي يتضح لاحقاً أنهم مسؤولون، ليس عن كل شيء شرير فقط في هذا العالم ، بل كذلك عن حقيقة أن كل هذه الأمور السيئة بشكل ما لا توفر البطولة كما حصل سابقاً في عام ١٩٤٠.

رغم أن رواية "بندول فوكو " تحمل أسم ليون فوكو ، مخترع القرن التاسع عشر، الا أنها تذكر القارئ بفوكو أخر منظر المؤامرة في القرن العشرين. لالان "الخطة" تعمل بذات النموذج في اللوائح المدونة تاريخياً في "نظام الأشياء" فقط، بل أن مشيل فوكو صنع ثلاثية فكرية من التأخر التاريخي للعديد من مناهج العمل ذات المجسات. غزل فوكو حكاية بارعة، متبصرة تخلب الألباب كيف أن ظروف العالم الثالث العصيبة في الظاهر، هي واقعياً أصفاد بشرية الاختلاق: خطاب السلطة الذي قد نما منذ القرون الوسطى، والذي يتضح تدريجياً، أنه مسؤول عن كل شيء، قد تحول نحو الأسوأ منذ الأزمان القديمة، بالضبط كما أن "المنهج" يوحد المجاميع الباطنية، من اليسوعيين إلى العبادات الإفريقية – البرازيلية، كذلك سياقات مثل الحكوماتية والتطبيبية يبدو أنها تعمل على توحيد كل أشكال السلطات الاجتماعية، والحكومية في كيان منفرد .

توضح رواية بندول فوكو :التهديد الخطير لكل منهج ، أن شكلت واحداً فستواجه التهديدات. مؤامرة أيكو المتخيلة ، نسج معارف مريبة ورحلات بارعة ، بشكل ما ، تصبح حقيقية. متآمرون مجانين، واقعيون يظهرون .يخطفون مؤلف الخطة، المتخيلة، ويذهبون به مباشرة إلى باريس .الى معهد الفنون، حيث يلتقي مع قدرة المروع: خنق حتى الموت بسلك (بندول فوكو) عينة، يوجد هنا وميض لقدر ميشيل فوكو، التضحية لجدال مناهض لتطبيب، رجل يخنق، بدرجة أقل أو أكثر من المجازية، بنظرية التآمرية التي تستمر خطة لتتوسع من قبل ناس أكثر جنوناً، وأقل خيالية مما كان عليه.

ما أطلق عليه ريجارد روتي "اليسار الفوكوي التهكمي"، لا يزال موجودا هنا وهناك الآن ومازال نقد روتي قائماً، الآن وبعد عشرين عاماً ، أصلاح العالم "ليس مسألة انتاج :قراءات أجود فلسفية للإنسان والحقيقية ، والتاريخ" بل القليل من" نقد الشرور ، الظاهرة بعبارات ومفردات نظرية ،أكثر راديكالية" ،الآن وكما الأمس" الفضائل الاجتماعية ليست الفضائل الوحيدة ". ولا تزال هناك الكثير من الجهود النافعة ، ذات الدلالة لأولئك الذين يختارون ،أن لايكرسوا حياتهم لمقارعة الظلم الاجتماعي، والاقتصادي. ممكن لضرب معين من الفلاسفة أن يختار بين انتاج الفلسفة ، أو مقارعة الظلم، قد يكون ذلك خيارا مؤلما ، ولكن أليس ذلك هو ما يدفع لوصفها،بـ "الحرية، المروعة"؟.

على الفلاسفة الماركسيين أكثر من أي مجموعة أخرى ، أن يعلموا أن الزمن لن يعود إلى الوراء مطلقاً ،والجدال القائل "أن الذين لا يعرفون الماضي محكوم عليهم أن يكرروه" ،يفترض أن يعلمنا أن نحرر أنفسنا ،من التاريخ الذي غالباً ما يؤول على أن مشاكل الحاضر ليست الا مشاكل الأمس ، تسترت ببعض الزى البديع ،وتحتاج لأن تسبر مجددا من فلاسفة مبدعين . أنه من الخطأ والخطر ، الاعتقاد بأن المستشفى هو بالضبط مثل معسكر الاعتقال – أو أن المكاتب التي نعمل فيها هي بالضبط مناجم الفحم ، (التي وصفها – زولا في روايته)، أو أن طاحونة الهواء لأنها كبيرة وذات أذرع و قد دمرت نموذج سابق للحياة الزراعية ،فأنها تشبه العملاق أكل البشر . بكلمات أخرى، طاحونة الهواء هي بالضبط مثل العملاق ،حتى تحمل عليها برمح حينها قد تخلع كتفك. مثل هذه المقارنات ،تدهش الفنانين وتثير خيالهم.الفلاسفة يسدون حاجات أنفع بتعليمنا، أن نعيد كتابة خرائط طوالعنا يوما بعد يوم .

يبدو ان رودينسكو لاتصف أزمة راهنة بل قضية (الطبيعة البشرية) في فترات بعيدة . حقا إن فلوبير الذي يعتبره بعض الماركسيين روئيويا ماركسيا، قد أنجز نصيبه من الاحتجاج على ألازمنة الحديثة: شكواه محددة تاريخيا في تفاصيلها ، وتوفر مادة لتاريخ فوكوي للشكوى : متى- بدقة- يصبح الأطفال غير محتملين؟ (بالتأكيد، ليس بعد القرن التاسع عشر، ومن المحتمل قبلهِ لم يعد هنالك من أطفال، (كتب مولير في ١٦٧٣)، لكن هدف فلوبير الأولي قد كان أكبر ، ليس له صورة معينة، وتقريبا بدون زمن ((الغباء الإنساني)) يكتب فلوبير في ١٨٧٥ ((هوة بدون عمق.

الكتاب؛ الفلسفة في أزمنة مضطربةالمؤلف الزابيث رودينسكو . ترجمه عن الفرنسية ميك كويك الناشر جامعة كولمبيا. الولايات المتحدة الامريكية ٢٠٠٨

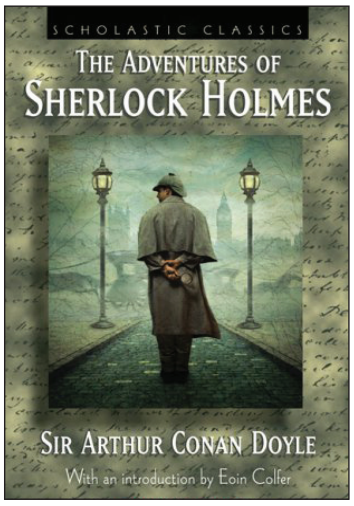

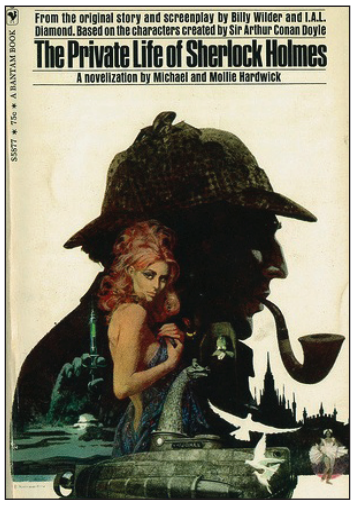

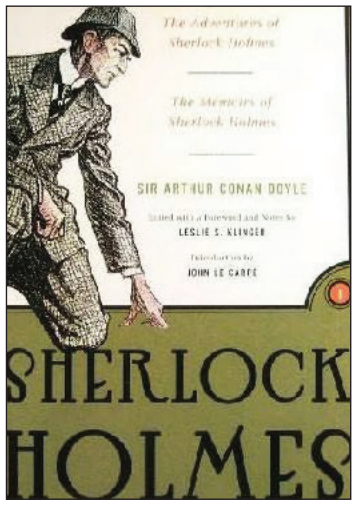

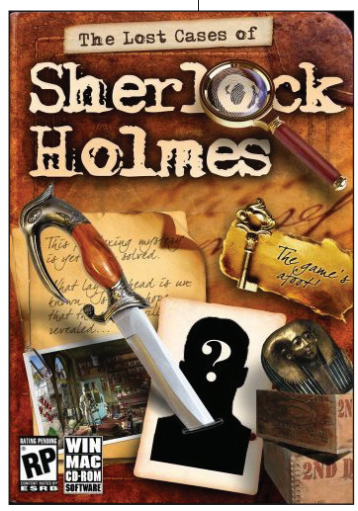

سر جاذبية روايات شرلوك هولمز

ترجمة: عزيز اورهان

بعد مرور مئة وثلاثة وعشرين عاما علي ظهور أول مطبوعة لشرلوك هولمز في عدد عيد الميلاد السنوي لعام 1887، ما زال معجبوه ومعارضوه علي حد سواء يشعرون بالحاجة لمحاولة تفسير سر جاذبية شرلوك هولمز المستمرة، وكأن قصص ومغامرات دكتور واطسون قد أصبحت نظاما اعتادوا عليه ـ مثل عقود الإنارة أو البريد الهوائي ـ ويحتاج فترة طويلة حتي يتم إلغاؤه أو تخطيه. وتفسير هذا النجاح قد يرجع لعدة أسباب منها احتواء تلك القصص علي التخطيط الماهر والحبكة المقنعة أو تعطش الطبقة البرجوازية للمغامرات المنظمة، أو الحنين لعصر مضي (العصر الفيكتوري أو عصر النهضة)، أو بسبب الديناميكية المتجانسة التي يقدمها هولمز وواطسون أو أخلاق الجنتلمان ـ الرجل النبيل ـ التي يتمتع بها بوضوح سير آرثر كونان أو دويل، أو قد يكون أهم هذه الأسباب هو نوعية الكتابة نفسها وجودتها، الأعلى بكثير مما تحتاج إليه هذه الموضوعات. هذه التفسيرات المقدمة من قبل المؤيدين والنقاد علي حد سواء توحي بشكل مباشر أو غير مباشر أنه ربما تكون الخمس وستون قصة والأربع روايات القصيرة التي تمثل رصيد شرلوك هولمز لا تستحق مثل هذا الإعجاب المستمر.

والشك في قيمة الاستحقاق الأدبي لقصص هولمز موجود منذ البداية حيث تكمن المشكلة أو العلة في الكاتب نفسه. بالطبع سيكون من الحمق القول بأن كونان دويل مبتكر شخصية شرلوك هولمز احتقر مؤلفاته عن هولمز. إلا أنه كان من المعروف أنه قد ندم على كتابة هذه المؤلفات واستسخفها حيث قال عنها «لقد أخذت جرعة زائدة من (هولمز) جعلتني أشعر نحوه مثلما أشعر نحو أحد الأطعمة التي تناولت الكثير منها في مرة من المرات لدرجة أن مجرد ذكر اسمها يصيبني بالشعور بالغثيان. في عام ١٨٩٣، حاول الكاتب أثناء تأليفه قصة «المشكلة الأخيرة» ـ التي تحكي عن تصرفات رجل يائس ـ محاولة جادة لجعل هولمز يقتل (على يد دكتور موريارتي أثناء وجودهم في شلالات ريتيبا تش) . ولكن حتى أول قصصه عن هولمز «دراسة عن سكارليت» كان ينقصها قلة إيمان الكاتب في إبداعاته حيث إن غالبية الجزء الثاني من القصة ـ الذي لا يحتوي على هولمز أو واطسون ـ كان يدور حول التجول في بؤس وسط نفايات مرمون في مدينة بوتا وهو المكان الذي فقد فيه القاتل ـ الذي قبض عليه هولمز لاحقا ـ الفتاة التي أحبها.

في مغامرة هولمز التالية «إشارة الأربعة»، يبدأ الفصل الأول بالكثير من النقد الذاتي على لسان المخبر عن الجهود الأدبية لمرافقيه الأربعة وبالتالي عن الطبيب الشاب الذي يعاني من ضائقة مالية والذي يملك كل الخيوط في يده. ويقول هولمز لواطسون «لقد ألقيت نظرة سريعة عليها»، مشيراً إلى قصة «دراسة عن سكارليت» ثم تابع:

«أنا لا أستطيع أن أهنئك بصدق على هذه القصة. إن التحقيق هو ـ أو يجب أن يكون ـ علم مضبوط ويجب أن يتم التعامل معه بنفس الطريقة الباردة والخالية من العواطف التي يتم التعامل بها مع أي علم، لقد حاولت تلوين القصة بالرومانسية مما نتج عنه نفس التأثير الذي قد يحدث إذا أدخلت قصة حب أو فرار على النظرية الخامسة لإقليدس».

وقد يشعر بعضنا بالطبع أن النظرية الخامسة لإقليدس سوف تتطور فقط إذا ما أضفنا إليها مكوناً لطيفاً كثير السيولة. وهذا نص مثالي يعبر عن السخرية من الذات بطريقة فكاهية جيدة حيث يقوم كونان دويل بعرض ذكائه الماكر الذي نادراً ما يقوم أحد ـ حتى أشد المعجبين تحمساً. بإعطائه الفضل عليه.

بينما كان كونان دويل مشغولاً بتحضير قصص شرلوك هولمز وبالتخطيط لموته وبإعداد الفخ لإدانة والتر سكوت والاستمرار في كتابة قصص الخيال الشعبي ـ في البداية لاحتياجه وبعد ذلك بسبب النجاح الذي حققته، كان كونان أيضاً يقضي وقتاً ممتعاً بشكل ملموس. فيبدو أن إحدي خصائص هذا الرجل ـ كما يتضح أعلاه ـ هي أنه يقضي وقتاً ممتعاً على حساب نفسه.

ومثل أكثر الكتاب، كان كونان يكتب من أجل المال. وقد جعله سوء حظه كفنان يكسب أكوامًا من المال ويصبح مشهوراً في العالم بسبب قصص لم يكن هو يعتبرها جديرة بموهبته، في حين أنه كان يحصل على تقدير أو أجر أقل عن أعمال كانت أهم بالنسبة إليه، ولأنه كان ينفق الكثير من المال على الإحسان والخير وعلى خططه الجامحة وعاداته في الإنفاق ـ كما أنه كان موهوبًا في تعاملاته مع الأطفال ـ فقد كانت هذه الأكوام من المال غير كافية لتغطية كل هذه المصاريف. القليل من الكتاب هم من قاموا بالكتابة من أجل المال بنفس التصميم الذي كتب به كونان دويل في كل مرة استسلم فيها لكتابة المزيد عن شرلوك هولمز. إن استمرارية هذا العمل وتكراره على هذا النحو الناجح إنما يعتبر ـ من وجهة نظري ـ شهادة ليس فقط على فن دويل وموهبته في رواية القصص وسحر ما يكتبه، ولكن أيضاً دليل على قوة المال وتأثيره على خيال الكاتب وإن كانت تلك القوة قد ينظر إليها البعض على أنها مهملة أو ينكرها البعض ويسخر منها البعض الآخر.

إن قراءة السيرة الذاتية لحياة كونان دويل التي كتبها دانيال ستاشوير تؤكد أن براين والبر كان ـ عملياً ـ الشخصية البارزة الأكثر أهمية في السنوات المبكرة من حياة كونان دويل، ورغم ذلك فإنه في كل كتاباته المتعلقة بسيرته الذاتية وكل رسائله التي نشرت لاحقاً، لم يكن هناك أي ذكر لبراين والبر ولا حتى مرة واحدة سواء لشكره أو لتصفية حسابه معه.

إلا أن هناك إشارة مبهمة في مذكراته: «لقد تبنت أمي مبدأ المشاركة في منزل كبير وهو ما قد يكون قد سهل عليها بعض الأمور ولكنه كان بمثابة كارثة في أمور أخري».

والعديد من قصص هولمز تركز على نشاطات المستأجرين الأشرار في بيوت الضيافة والنزل وزوجات الآباء وأزواج الأمهات المتآمرين أو الأشخاص الذين كانوا يحبسون أحباءهم في أماكن بعيدة. إن الشبح التأنيبي للأب المحبوس من أجل مصلحته «المفترضة» يظهر في الشخصية الرمزية للجندي السابق في «مغامرات الجندي الشاحب» حيث نرى المحارب السابق الذي شارك في حرب البوير مسجون في «بناية منفصلة» عن عقار الأسرة اعتقاداً منهم أنه قد أصيب بمرض الجذام في أفريقيا.

ويمكن أن نرى هذا الشبح أيضاً في الوجه الإنساني البائس للأسير الغامض في رواية «الوجه الأصفر» وفي الشخصية المحطمة في رواية «الرجل الأعوج» حيث تدور حول الجندي السابق الذي يطارد ويقتل الضابط الإنجليزي الذي قبل سنوات في الهند خانه وسلمه لأيدي المعذبين.

إن المحقق فرويد قد يستنتج بأن كونان دويل لم يتعاف كلياً من الإحساس بالألم والإذلال اللذين شعر بهما أولاً عندما كان يشاهد أمه وهي تخون والده المجنون في منزله، وبعد ذلك من كونه قد أجبر على الوقوف ساكناً في الوقت الذي كان الرجل العجوز يرسَل إلى مستشفى مجانين مونتروز الملكية ولم يعد أبداً إلى المنزل.

إن التاريخ الأسري لكونان دويل وحياته في البيت قد حدثت في مدينة عكست بدقة ثنائياتها وازدواجياتها، فمدينة أدنبرة في القرن التاسع عشر كانت تجسد نبضات فكرة جيكيل وهايد في العقل الفيكتوري بدرجة أكثر حتى من لندن. في لندن، كان الشر والخير، العام والخاص متلازمين وكأنهما جاران قريبان بل كانا أيضاً ـ كما هو الحال مع هنري جيكيل وادوارد هايد ـ يشتركان في جسد واحد.

كانت لندن متمثلة في فن السوق غير المنظم كما في رواية «دكان الفضول القديم» أو شخصية كروك في رواية «المنزل الكئيب» حيث المناظر الطبيعية مغطاة بالضباب والطين، وأثناء فترة طفولة كونان دويل، كانت أدنبرة تتضمن مدينتين متميزتين هما البلدة القديمة والجديدة.

كان وسط أدنبرة القديم المنتمي للقرون الوسطى ـ «هذا الحي الملعون النتن المتكون من كتلة من الأحجار القوية والكلس والروث» كما وصفه توماس كاريل ـ كان سيئ السمعة في أنحاء أوروبا بسبب قذارته وتلوثه. في بداية نهايات القرن الثامن، كانت المدينة قد حل محلها جزئياً وليس كلياً مدينة مهيبة مبنية بالحجارة الرمادية على الحافة إلى شمال المقاطعة القديمة.

إن التاريخ الأسري لكونان دويل وحياته في البيت قد حدثت في مدينة عكست بدقة ثنائياتها وازدواجياتها، فمدينة أدنبرة في القرن التاسع عشر كانت تجسد نبضات فكرة جيكيل وهايد في العقل الفيكتوري بدرجة أكثر حتى من لندن. في لندن، كان الشر والخير، العام والخاص متلازمين وكأنهما جاران قريبان بل كانا أيضاً ـ كما هو الحال مع هنري جيكيل وادوارد هايد ـ يشتركان في جسد واحد.

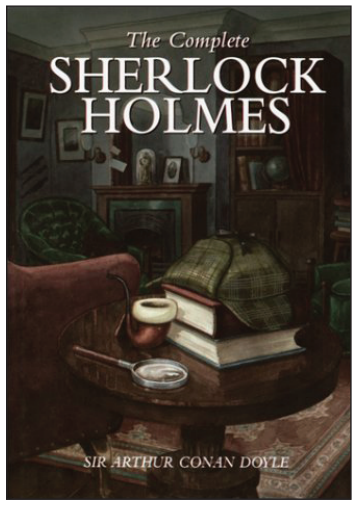

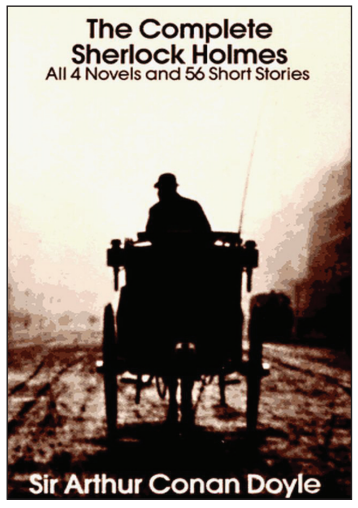

إن هذه الخطوة الناجحة جزئياً لتحسين الذات التي قامت بها تلك المدينة الفخورة بإنجازها الثقافي والتجاري والمتحمسة لمحو ماضيها المظلم نتج عنها مدينة مكافحة عقلانية تشترك في الحفاظ على أسرارها وتخفي شوارعها ذكرى قلقة عن هاوية الأسكتلنديين القديمة الدامية.

إن هذه المدينة تعكس أيضاً مأزق وإنجاز كونان دويل نفسه، فهو قد قضى طفولته الكئيبة والقلقة بين الفشل والفقر وعدم القدرة على نسيان والده من ناحية ومن الناحية الأخرى شهرة وتألق الجد الفنان الناجح والأعمام الموجودين في لندن البعيدة، أي أنه تربى بين الإحساس الدائم بالدمار والخزي وبين المستقبل اللامع الذي طالما حلم به (وحققه لاحقاً) بين العالم الأيرلندي ـ الكاثوليكي الغريب الموجود في قصص والدته وبين أدب اسكتلندا الفيكتوري البروتستانتي التجريبي.

في كلية الطب بجامعة أدنبرة وفي قلب المدينة القديمة المخيف، تعلم كونان دويل بشكل علمي أن طريقة والده في قراءة العالم بالرسائل يمكن أن تُدمج مع موهبة والدته في تأليف القصص. في خريف ١٨٧٦، بدأ بحضور المحاضرات والعمل ككاتب في المستشفى الملكي الذي يرأسه دكتور جوزيف بيل وهو ممارس عام مبدع متخصص فيما قد يطلق عليه هو اسم أدب التشخيص. ونحن قد نطلق عليه أيضاً لقب قصة نثرية أو علم الكشف.

لقد كان جو بيل بمثابة أسطورة في كلية الطب. وكانت خدمته المفضلة هي أن يقوم بتشخيص المرضى الموجودين في غرفة الانتظار بالمستشفى بدون حتى أن يتكلم معهم أو يقوم بالكشف عليهم، وهي خدمة كان يستمتع جداً بالقيام بها تماماً مثل الشخصية التي كان هو الملهم لها في رواية «انقلاب المسرح» أيها السادة، إن هذا الرجل صياد سمك، سوف تلاحظون إنه رغم أن اليوم هو يوم صيفي حار جداً، فإن المريض يرتدي حذاء طويل الرقبة، وعندما جلس على الكرسي أصبح من السهل رؤية الحذاء بوضوح، لا أحد يرتدي حذاء طويل الرقبة في هذا الفصل من السنة إلا البحار.. إنه يخفي لفافة من التبغ في الزاوية البعيدة من فمه وهو يحركها بدهاء شديد يا سادة.

بالإضافة لذلك، ولكي أثبت صحة افتراضاتي، لقد لاحظت العديد من قشر السمك ملتصقة بملابسه ويديه بينما رائحة السمك التي تنبعث منه تعلن عن حضوره بطريقة ملحوظة ومميزة جداً. إن المغزى من هذه التخمينات الملهمة ومن تجميع بعض الحقائق والصفات الشكلية ـ البعض منها قد يكون غير واضح للعين غير المدربة ـ ومقارنتها بمخزون داخلي من المعرفة والمعلومات المكتسبة من ملاحظات سابقة ـ أي أساس العرض الذي يقدمه بيل ـ هو للفت نظر الطبيب الشاب إلى هذا العدد الكبير من الإشارات والأعراض والاختصارات التي يقدمها المريض. المريض يأتي ويتكلم بإسهاب معطياً كمًا كبيرًا من المعلومات، فالمريض أو المريضة هو عبارة عن صحن زجاجي رقيق ملئ بالحقائق التي تحتاج فقط إلى الصبر وإلى عين مدربة ثاقبة لتقرأ وتشخص.

إلا أن هذه المهارات الخاصة بقوة الملاحظة والقدرة على التفسير ليست مرتبطة بمهنة الطب بدرجة ارتباطها بالكتاب والمخبرين، ولكي تنجح كمشخص أدبي أو روائي أو مخبر، فأنت تحتاج أن تلم بفن كنت ستتعلمه من والدتك لو كنت آرثر كونان دويل ألا وهو فن الإحساس بالقصة، من أجل «التاريخ» الذي سيتضمن الإشارات والأعراض ومن أجل الطريقة التي سيعاد تركيب القصة بها ـ بتعبير علاجي ـ لمصلحة المريض.

رغم أن فشل كونان دويل كطبيب ممارس قد تمت المبالغة فيه، إلا أنه يبدو واضحاً أنه كان قليل الحظ في المهنة التي اختارها والتي لم يكن يستمتع بممارستها أيضاً. (هناك كاتب واحد على الأقل قال إن كونان دويل قد يكون قد قتل مريضاً عن طريق ارتكاب حماقة شبيهة بحماقات تشارلز بوفاري أو قل بدوافع أكثر شراً، ثم قام بعد ذلك بالزواج من أخت الرجل المتوفى وسيطر على الدخل المادي الذي ورثته عن أخيها. ومثل العديد من الأسكتلنديين في هذا العصر، سواء كانوا مهندسين أو مشرفين أو مديرين أو أمراء تجارة أو جنود مشاه أو حكماء الإمبراطورية، كان كونان دويل عنده ميل قوي لحب المغامرة، وفي محاولة للهروب من المصير الذي حدده له والير، قام كونان دويل بمحاولتين ناقصتين أو فاشلتين، الأولى أن يصبح طبيبًا على ظهر سفينة والثانية اتخاذ قرار طائش لترك الممارسة العامة من أجل دراسة طب العيون في ألمانيا رغم أنه كان بالكاد يفهم اللغة الألمانية.

عقلانية تشترك في الحفاظ على أسرارها وتخفي شوارعها ذكرى قلقة عن هاوية الأسكتلنديين القديمة الدامية. إن هذه المدينة تعكس أيضاً مأزق وإنجاز ونان دويل نفسه، فهو قد قضى طفولته الكئيبة والقلقة بين الفشل والفقر وعدم القدرة على نسيان والده من ناحية ومن الناحية الأخرى شهرة وتألق الجد الفنان الناجح والأعمام الموجودين في لندن البعيدة، أي أنه تربى بين الإحساس الدائم بالدمار والخزي وبين المستقبل اللامع الذي طالما حلم به (وحققه لاحقاً) بين العالم الأيرلندي ـ ال اثوليكي الغريب الموجود في قصص والدته وبين أدب اسك

تلندا الفيكتوري البروتستانتي التجريبي. في كلية الطب بجامعة أدنبرة وفي قلب المدينة القديمة المخيف، تعلم كونان دويل بشكل علمي أن طريقة والده في قراءة العالم بالرسائل يمكن أن تُدمج مع موهبة والدته في تأليف القصص. في خريف ١٨٧٦، بدأ بحضور المحاضرات والعمل ككاتب في المستشفى الملكي الذي يرأسه دكتور جوزيف بيل وهو ممارس عام مبدع متخصص فيما قد يطلق عليه هو اسم أدب التشخيص. ونحن قد نطلق عليه أيضاً لقب قصة نثرية أو علم الكشف. لقد كان جو بيل بمثابة أسطورة في كلية الطب. وكانت خدمته المفضلة هي أن يقوم بتشخيص المرضى الموجودين في غرفة الانتظار بالمستشفى بدون حتى أن يتكلم معهم أو يقوم بالكشف عليهم، وهي خدمة كان يستمتع جداً بالقيام بها تماماً مثل الشخصية التي كان هو الملهم لها في رواية «انقلاب المسرح» أيها السادة، إن هذا الرجل صياد سمك، سوف تلاحظون إنه رغم أن اليوم هو يوم صيفي حار جداً، فإن المريض يرتدي حذاء طويل الرقبة، وعندما جلس علي الكرسي أصبح من السهل رؤية الحذاء بوضوح، لا أحد يرتدي حذاء طويل الرقبة في هذا الفصل من السنة إلا البحار.. إنه يخفي لفافة من التبغ في الزاوية البعيدة من فمه وهو يحركها بدهاء شديد يا سادة. بالإضافة لذلك، ولكي أثبت صحة افتراضاتي، هذه لاحظت العديد من قشر السمك ملتصقة بملابسه ويديه بينما رائحة السمك التي تنبعث منه تعلن عن حضوره بطريقة ملحوظة ومميزة جداً. إن المغزي من التخمينات الملهمة ومن تجميع بعض الحقائق والصفات الشكلية.

ـ البعض منها قد يكون غير واضح للعين غير المدربة ـ ومقارنتها بمخزون داخلي من المعرفة والمعلومات المكتسبة من ملاحظات سابقة ـ أي أساس العرض الذي يقدمه بيل ـ هو للفت نظر الطبيب الشاب إلى هذا العدد الكبير من الإشارات والأعراض

والاختصارات التي يقدمها المريض. المريض يأتي ويتكلم بإسهاب معطياً كمًا كبيرًا من المعلومات، فالمريض أو المريضة هو عبارة عن صحن زجاجي رقيق ملئ بالحقائق التي تحتاج فقط إلي الصبر وإلي عين مدربة ثاقبة لتقرأ وتشخص. إلا أن هذه المهارات الخاصة بقوة الملاحظة والقدرة على التفسير ليست مرتبطة بمهنة الطب بدرجة ارتباطها بالكتاب والمخبرين، ولكي تنجح كمشخص أدبي أو روائي أو مخبر، فأنت تحتاج أن تلم بفن كنت ستتعلمه من والدتك لو كنت آرثر كونان د يل ألا وهو فن الإحساس بالقصة، من أجل «التاريخ» الذي سيتضمن الإشارات والأعراض ومن أجل الطريقة التي سيعاد تركيب القصة بها ـ بتعبير علاجي ـ لمصلحة المر ض. رغم أن فشل كونان دويل كطبيب ممارس قد تمت المبالغة فيه، إلا أنه يبدو واضحاً أنه كان قليل الحظ في المهنة التي اختارها والتي لم يكن يستمتع بممارستها أيضاً. (هناك كاتب واحد على الأقل قال إن كونان دويل قد يكون قد قتل مريضاً عن طريق ارتكاب حماقة بيهة بحماقات تشارلز بوفاري أو قل بدوافع أكثر شراً، ثم قام بعد ذلك بالزواج من أخت الرجل المتوفى وسيطر على الدخل المادي الذي ورثته عن أخيها. ومثل لعديد من الأسكتلنديين في هذا العصر، سواء كانوا مهندسين أو مشرفين أو مديرين أو أمراء تجارة أو جنود مشاه أو حكماء الإمبراطورية، كان كونان دويل عنده ميل قوي لحب المغامرة، وفي محاولة للهروب من المصير الذي حدده له والير، قام كونان دويل بمحاولتين ناقصتين أو فاشلتين، الأولى أن يصبح طبيبًا علي ظهر سفينة والثانية اتخاذ قرار طائش لترك الممارسة العامة من أجل دراسة طب العيون في ألمانيا رغم أنه كان بالكاد يفهم اللغة الألمانية. لقد وجد كونان دويل نفسه وفي أواخر العشرينيات من عمره مربوطاً بسلسلة من الممارسات الطبية الفاشلة أو المضجرة أو الصعبة، وبزوجة شابة ذات صحة ضعيفة وبإعالة طفل هو الأول من خمسة أطفال، كما أنه كان مديناً ومرفوضًا من زبائن شارع هارلي الراقي بالإضافة لأن كرامته منعته من اللجوء إلي أسرته لطلب العون وفي نفس الوقت كان يحن إلى النوع الحقيقي من المغامرات التي أوقدتها فيه قصص والدته. آفاقه بدأت تنخفض ووعوده تذهب هباءً ولا تتحقق. وقد يكون قد بدأ أيضاً برؤية نفسه ضائعاً، لقد رأى أن أعمال جوزيف بيل هي نوع من الملاذ عن طريق سرد القصص في العيادة في أدنبرة. فربما كان من الحتمي أن تتجه أفكاره إلى بيل في هذا الوقت فقد كان محاصراً في غرفة استشارته المقفرة، وكما لجأ هولمز إلى حقنة الكوكايين تلك، أخذ كونان قلمه أنا أعرف بأنني خاطرت بأن يعتبرني البعض أقحم بعض العوامل غير المترابطة على هذا الموضوع لأنني تحدثت كثيراً جداً عن الصلة أو العلاقة بين الأطباء وا أدب وبين سرد القصة والشفاء. ولذلك سأشير فقط إلى أن أول اثنتي عشرة قصة من قصص هولمز قد جمعت وطبعت في كتاب بعنوان «مغامرات شرلوك هولمز» وهو الكتاب التي جعل كونان دويل مشهورًا وثريا وأنقذه من الحياة التي لم يكن يتمني أن يحياها، لقد جاء هذا الكتاب بإهداء إلى دكتور جوزيف بيل.

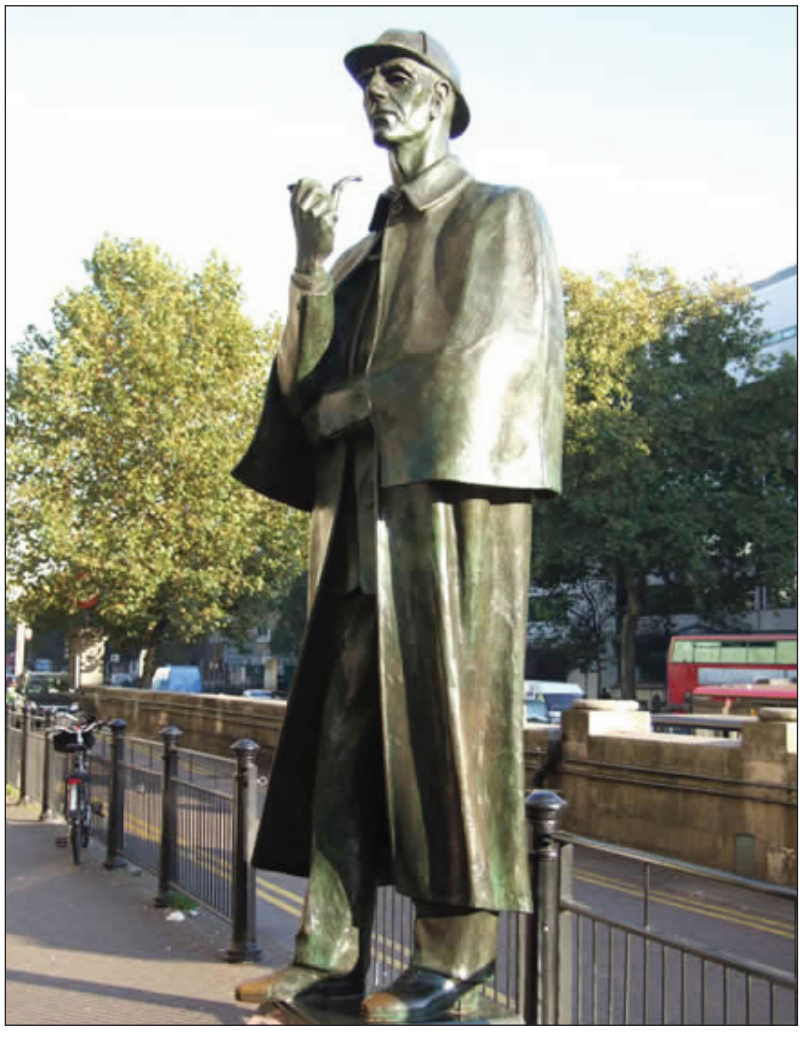

عن الملحق الادبي لنييورك تايمز

أوراق
العدد (1844)السنة السابعة -الاحد (11)
تموز 2010

مصلحو الساعات

لم يكن من قبيل المصادفة أن تنتقل رواية «مصلحو الساعات» لبول هاردينغ من رواية تتوالى إشعارات رفض النشر على مؤلفها الى رواية تحظى بجائزة بوليتزر للرواية والقصة وتبادر دار راندوم هاوس الشهيرة إلى التعاقد معه على إصدار روايتيه المقبلتين.

الواقع أننا هنا أمام عمل يرتقي إلى ذروة إبداعية شاهقة، حتى وإن كان يبدو لأول وهلة أنه في حالة خصومة مع العناصر التي يتوقع الخبراء في صناعة النشر والتوزيع العالمية أنها مرادفة للنجاح.تقوم رواية هاردينغ على التدقيق في الحياة والموت، ودقتها تأتي انعكاساً لدقة بطلها وهو يعكف على أداء وظيفته المتمثلة في إصلاح الساعات.وعلى الرغم من أننا إزاء رواية نحيلة، محدودة الصفحات، إلا أنها تحفل بالكثير من التفاصيل المندرجة في نثرها ذي الصياغة المدهشة، فهي تتناول ثلاثة أجيال من عائلة كادحة من عائلات نيو إنجلاند، وذلك فيما لا يزيد على ١٩١ صفحة، وتتمحور حول جورج واشنطن كروسبي، فيما هو يرقد محتضراً على السرير الذي أعد له في غرفة معيشته بداره التي شيدها بيده.

وعلى الرغم من محدودية عدد صفحات الرواية، إلا أنها تعكس الامتداد الرحب لملحمة عائلية ممتدة، مع فارق محدد هو أن الروائي يجلب إليها عيني عالم موقع بالتفاصيل، ترصد العجلات التي تبقي الذكريات دوارة في أذهان الناس وعقولهم.

ووظيفة جورج كمصلح للساعات هي وظيفة دالة، فالساعة ليست إلا تجسيداً للحياة بدقائقها وثوانيها المحددة، وتحت وجه الساعة ثمة أشياء مراوغة تجري وتدور، وفيما جورج يتردد بين الحياة والموت، عندئذ فحسب يمكنه أن يدرك بوضوح معنى لحظات حياته التي مرت.

وتمحيص هاردينغ للحياة والموت، الذي نتابعه عبر الصفحات، هو أبعد ما يكون عن الاضجار، ففي ظل إرشاده الحريص ينفتح أمامنا عالم بأسره حافل بالمعاني.

ووضوح هاردينغ هو وضوح شعري، ويغدو متفجراً في بعض الأحيان، خاصة عندما يصف هوارد، والد جورج، الذي يمضي متجولاً لبيع السلع وإصلاح الساعات، والذي يعاني من نوبات من الصرع.

والنثر الذي نلتقيه عبر صفحات «مصلحو الساعات» يبدو مذهلاً في رصده للنوبات وللصدمات وللجمود وللعاطفة المتجمدة، وهكذا فإن حالة صرع خطيرة تتحول إلى اندلاعة شعرية من وصف الأرض الوعرة بين الحياة والموت، ولكنها تظل مرعبة في كل الأحوال، حيث لا نملك إلا الوقوف طويلاً حيال تساؤل هاردينغ: «ما الذي يشبه الامتلاء بانقضاضة البرق؟ ما الذي يشبه الانقسام من الداخل بفعل البرق؟

إن الرواية تحفل بهذه اللحظات الوجيزة والمتوترة من الإثارة والاستبطان، وهي تبرز رعب الحياة ورهبتها معاً وتذكرنا بالدقات التي لا تعرف التواني لزمن المرء.

على امتداد الرواية، يراوح السرد بين جورج وهوارد، حيث لكل منهما تجربته المميزة. وهي تبدأ بهذه العبارة شديدة الدلالة: «بدأ جورج واشنطن كروسبي يهلوس قبل ثمانية أيام من موته». وليس سراً أن جورج لن يكون له وجود مع نهاية الكتاب. وفيما هو يرقد محتضراً وحوله عائلته وأصدقاؤه، فإن هاردينغ يواصل النسج دخولاً إلى وعيه وخروجاً منه ليروي قصة ابيه هوارد، وليتحدث بإيجاز عن والد هوارد أيضاً.

وقد كان والد هوارد قساً تداعت قدراته العقلية إلى حد أبلغ معه أبناء أبرشيته بقوله إن الشيطان قد لا يكون على مثل ذلك القدر من السوء. ويتم إبلاغنا بأن هوارد لم يفكر جدياً قط في الحديث مع ابنه حول أبيه، وربما كانت هذه المسافة بين الأجيال الثلاثة هي التي تفضي بجورج إلى إحساسه الغريب بذاته العضوية، حيث نقرأ في الرواية:

«البدن، الأسنان، الأمعاء، بل الأفكار، كانت كلها بشكل أو بآخر ملائمة للظرف الإنساني، وفيما كان أبي يتراجع عن الظرف الإنساني، كذلك كانت تتراجع كل هذه الأشياء المحددة عائدة إلى زبد لا سبيل إلى معرفته، حيث ربما تعاد صياغتها لتغدو نجوماً أو بكلات أحزمة أو غباراً نجمياً أو مسامير للسكك الحديدية. ربما كانت قد أصبحت بالفعل كل هذه الأشياء، وكان تلاشي أبي راجعاً إلى أنه أدرك هذا».

إن هناك إيقاعاً للذكريات التي تبقى للناس، وفي عالم هاردينغ فإنها جميعها جزء من نظام فوضوي ولكنه عقلاني للأشياء، واهتمام جورج الكبير بالساعات يكتسب بعداً إضافياً عندما يصف هاردينغ انفصال أبيه وجده عن نفسيهما العضويتين، لأن الجسم في «مصلحو الساعات» ليس هو ما يهم، ذلك أنه ليس دائماً، وإنما ما يبقى هو الذكرى، وذلك على الرغم من أن تشديد هاردينغ على الذهن باعتباره أسمى من الجسم يطرح أسئلة عن مدى بقاء الذكرى نفسها (في كل من الشخص ونسله) حتى فيما سرده يدلف إلى الطرق التي يمكن بها تمريرها عبر الأجيال.

وعند منعطف في هذه الرواية يحاول جورج القيام بتسجيل صوته، وهو يروي قصته. وفيما هو يصغي لسرده للحقائق الباردة والصلبة في

حياته، فإن كلماته تتردد طنانة ومتكلفة، فيبادر إلى إحراق الشريط لأنه يستشعر الحرج إزاء فجاجة التسجيل وعدم جدارته بالإبقاء عليه.

هذه اللحظة تشدد على الحقيقة القائلة إنه على الرغم من أن فراش جورج تحيط به عائلته، فيما حالته تتداعى فإنه ليس من المؤكد كيف ستنتقل ذكرياته عن أبيه إلى من سيبقون بعده، وما إذا كان هذا النقل سيتم أصلاً.

وتأملات جورج التي نتابعها عبر صفحات الرواية تجعل من هذا الكتاب عملاً لا يدور حول الموت وإنما تحقيقاً في معنى الحياة ومغزاها. وليس الحبكة هي التي تكفل نجاح الرواية وإنما الجمل التي تتردد كما لو كانت جرس ساعة جر يدويا في دار خالية.

×××

وعقب فوز الروائي الأميركي بول هاردينغ بجائزة بوليتزر عن روايته «مصلحو الساعات» ،بادرت صحيفة «نيويورك تايمز» إلى تدارك تجاهلها التام للرواية لدى صدورها عن دار بلفيو الصغيرة للنشر، وأجرت مقابلة مع هاردينغ أكد فيها أن فوزه بالجائزة البارزة قد يغير ظروفه، لكنه لن يؤثر على طريقة عمله، مشيراً إلى أن الرواية الأولى من الروايتين اللتين تعاقدت دار راندووم هاوس الشهيرة معه على تأليفهما ستدور حول حياة حفيد بطل روايته الأولى، وأعرب عن اعتقاده بأن دور النشر والمكتبات الصغيرة هي التي تنطلق قدما بعالم الإبداع الأدبي العالمي اليوم. وفيما يلي نص الحوار:

قبل ست سنوات، كان بول هاردينغ مجرد خريج آخر من خريجي ورشة آيو للكتاب يعلق آمالاً على نشر رواية محدودة الصفحات، وقد أرسل نسخاً من مخطوطة الرواية، التي تضمنت تداخلاً بين ذكريات مصلح للساعات يحتضر في نيوانجلاند وذكرياته عن أبيه، إلى عدد من الوكلاء والمحررين في نيويورك، وسرعان ما بدأت رسائل رفض النشر في التوالي عليه.

وهو يقول في لقاء معه في أحد مطاعم أيوا سيتي: «ألقوا عليَّ محاضرات حول إيقاع الحياة اليوم. ولم يرد أحد منهم قراءة كتاب هادئ، بطئ الايقاع، ومفعم بالتأمل والتفكير».

ويوضح أن المخطوطة استقرت في أحد أدراج مكتبه على امتداد ثلاث سنوات، ولكن في إطار إحدى أغرب قصص الحياة الأدبية الأميركية لم يعثر هاردينغ على ناشر لروايته فحسب، هو دار بيلفيو الأدبية، وإنما فاز عن الرواية بجائزة بوليتزر للرواية والقصة، أخيراً، وفي غضون ساعة من إعلان بوليتزر عن فوزه بعثت دار راندووم هاوس بنشرة صحافية لكل من يعنيه الأمر تتباهى فيه، بأنها تعاقدت معه على نشر روايتين، وبعد أيام أعلنت مؤسسة غوغنهايم عن منحه زمالتها المرموقة.

ويقول هاردينغ إن وسائل رفض النشر المتوالية التي انهالت عليه في ذلك الوقت كانت مضحكة في حينه، وأنها الآن أكثر إثارة للضحك. غير أنه من الحرص يصر على عدم الإعلان عن أسماء الوكلاء والمحررين الذين رفضوا لمس روايته، قبل سنوات قلائل.

وبالمقابل، فإنه يحرص على الإشادة بمن ساعدوا في جعل «مصلحو الساعات« إحدى الروايات الأثيرة لدى المكتبات المستقلة، وعلى رأسهم إريكا غولدمان، مديرة التحرير في دار بيلغيو للنشر، والتي يصفها هاردينغ بأنها «قارئة عميقة التعاطف» وليز سولومون، مندوبة المبيعات في كونسرتيوم كاليفورنيا الشمالية، موزعة الكتاب، والتي روجت له في العديد من دوائر النقاد والمكتبات.

ويعرب هاردينغ عن شعوره بالمرارة من أن الرواية اختفت من الرادار تماماً في بعض الدوائر، ومنها صحيفة «نيويورك تايمز« التي لم تنشر عرضاً للرواية، إلا أنها أطلت في قوائم أفضل الكتب في نهاية العام في العديد من المجلات والمطبوعات، ومنها مجلة «نيويوركر« وقد وصلت « مصلحو الساعات« قبل فوزها بجائزة بوليتزر إلى بيع سبعة آلاف نسخة، فهو رقم شديد التواضع بمعايير صناعة النشر والتوزيع الأميركية.

ويتحدث هاردينغ خلال الحوار معه بحماس، ومن دون أن يكبح جماح كلماته، على النقيض تماماً في الأب والابن اللذين يقدمهما في «مصلحو الساعات»، وهي رواية تتسم بمحدودية مقاطع الحوار فيها، وبالمقاطع الطويلة التي تدور في أذهان الشخصيات.

ويدور إطار الرواية في أحد أبعاده حول السهر حول فراش العجوز جورج واشنطن كروسبي، مصلح الساعات الذي يرقد محتضراً في فراش، أعد له في غرفة معيشته في داره في نيو إنجلاند، ويضرب الكتاب في الزمن وفي الوعي، واصفاً التفاصيل الدقيقة للمياه الريفية في مين ونوبات الصرع التي يصاب بها هوارد، والد جورج، وهو مصلح ساعات وبائع جوال ينطلق في أرجاء الريف بعربته العتيقة التي يجرها حصان.

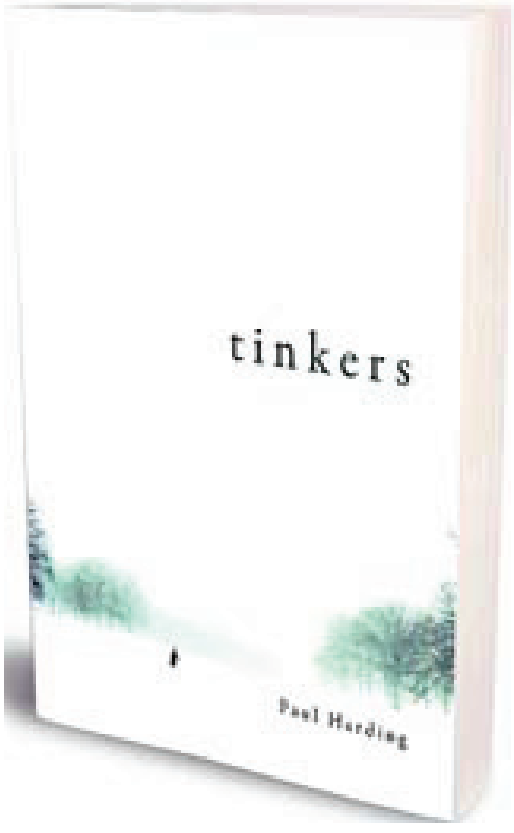

هذه اللحظة تشدد على الحقيقة القائلة إنه على الرغم من أن فراش جورج تحيط به عائلته، فيما حالته تتداعى فإنه ليس من المؤكد كيف ستنتقل ذكرياته عن أبيه إلى من سيبقون بعده، وما إذا كان هذا النقل سيتم أصلاً . وتأملات جورج التي نتابعها عبر صفحات الرواية تجعل من هذا الكتاب عملاً لا يدور حول الموت وإنما تحقيقاً في معنى الحياة ومغزاها. وليس الحبكة هي التي تكفل نجاح الرواية وإنما الجمل التي تتردد كما لو كانت جرس ساعة جر يدويا في دار خالية.

ويقول هاردينغ إن تكوين الرواية مستمد من شخصية جده، الذي نشأ في ريف مين، والذي تخلى أبوه المصاب بالصرع عن عائلته، عندما علم بأن زوجته تخطط لإيداعه إحدى المصحات.
ويوضح الفائز بجائزة بوليتزر في الرواية أنه أمضى طفولته في وينهام بولاية ماساشوستس، وهي بلدة لا تقع بعيداً عن المكان الذي يقيم فيه مع زوجته وابنتيه. وقد تعلم تصليح الساعات من جده، وبعد تخرجه في الجامعة سجل ألبومين غنائيين مع فرقة »كولد ووتر فلات« التي ساعد في تكوينها في جامعة ماساشوستس وقام معها بجولة غنائية في أوروبا، غير أن الخلافات الإبداعية أدت إلى حل الفرقة، فالتحق بمساحة للكتابة الإبداعية في سكيرمور كوليج.
ومع طلب التحاقه بورشة أيوا للكتاب قدم قصتين، كانت إحداهما تشكل القسم الأول من رواية »مصلحو الساعات«. غير أنه طوال معظم الوقت الذي أمضاه في ورشة أيوا للكتاب اشتغل على رواية تدور حول حبيبة في الثانية عشرة من عمرها، تتنكر في هيئة صبي، لكن تتمكن من العمل في منجم مكسيكي للفضة، خلال القرن السادس عشر، ولدى تخرجه في الورشة، أدرك أن هذه الرواية لن يقدر لها التكامل والإطلال في صورتها النهائية.
ومن جديد استقطبت قصة جده، فعاد للاشتغال عليها، وهو يقول في هذا الصدد: «كان أمراً يدعو إلى الشعور بالارتياح الا انه اضطر للعكوف على كتب التاريخ».
وبعد ميلاد ابنه الأول، وعمله بالتدريس في جامعة هارفارد وتدريس الكتابة الإبداعية في مدرسة ليلية أصبحت الرواية مشروعاً خارج المقرر كما يصفه، وهكذا كان يبادر إلى فتح الكمبيوتر النقال وبدء الكتابة في إطار الرواية حيثما استطاع.
وهو يشير إلى أن الأمور وصلت به إلى حد الكتابة على مؤشرات صفحات الكتب وعلى ظهر الإيصالات وأي ورقة تقع في يده، ثم يقوم بنقل فحوى هذه الأوراق إلى الكمبيوتر في وقت لاحق.
أخيراً وذات ليلة سبت أكمل كتابة المخطوط على كمبيوتره العتيق، وأعده بالشكل الذي سيشق طريقه أخيراً للنشر وبعد موافقة غولدمان على نشر الكتاب، ودفع ألف دولار كمقدم له، بدأت الأمور تمضي في طريقها.
وعلى الرغم من أن هذا المبلغ يشكل جزءا ضئيلاً مما تدفعه دور النشر الأميركية عادة كمقدم لنشر رواية، إلا أن هاردينغ لم يعرب عن الشكوى، بل اعتقد أن الوصول إلى هذه المرحلة من نشر روايته الأولى هو انجاز حقيقي.
وهو يقول إنه يعمل حالياً على روايته المقبلة، التي تدور أحداثها، في إينون، وهي بلدة متخيلة، يموت فيها جورج، بطل روايته الأولى، ولكن الرواية الجديدة تركز على شارلي حفيد جورج وعلى كاتي، ابنة شارلي.
ويضيف: «ربما تغير جائزة بوليتزر ظروفي، ولكنها لن تغير الكيفية التي أعمل بها.
وهو يختتم الحوار معه بالقول: «إنني أعرف كيف وصلت إلى هنا، أعرف كل خطوة قطعتها على الطريق، ويمكن لشيء كهذا أن يحدث لي، ولن يكون نجاحاً كارثياً.

الكتاب: مصلحو الساعات
تأليف: بول هاردينغ
الناشر: بلفيو ليتراري بريس نيويورك ٢٠٠٩

أحلام مستغانمي:

أهي كتابات للنسيان أم لإنعاش الروح والذاكرة والوجدان؟

شكيب كاظم

(هذه رواية قرأتها على مهل، رواية اخذت من وقتي الكثير، من ايام العمر القصير، اذا ما قيس بأعمار مخلوقات اخر، كي استمتع بما اقرأ، واتشرب ما قرأت، قرأتها، كأني اقرأ شعرا).
هذا ما كتبته يوم انهيت قراءة ثلاثيتها الروائية الشهيرة (ذاكرة الجسد) و(فوضى الحواس)، و(عابر سرير)، ونشرته جريدة (الزمان) في ملحق (الف ياء) الثقافي طبعة لندن الثلاثاء ٢٠٠٩/١٠/٢٧ واراني بحاجة الى ان استعير هذه السطور بعد ان فرغت من قراءة كتابها الجديد، الذي سمّته الدكتورة احلام مستغانمي بـ(نسيان com) والصادر عن دار الآداب اللبنانية عام ٢٠٠٩، هذه هي الطبعة الاولى، وارى ان ستتوالى طبعاته، شأنه شأن اعمال مستغانمي، التي تخطت الارقام المتواضعة التي تطبع بها كتبنا في العالم العربي، اذ تخطت الالوف وعشراتها ومئاتها الى المليون عدا، ولذا يحق لي ان اطلق عليها اسم رولينغ العرب، هذه الروائية التي يقف الناس صفوفا وعند الصباح الباكر، كي يحصلوا على نسخة من اصداراتها الجديدة، و(هاري بوتر) تحديدا، مما يبشر بصعود نجم الحرف المكتوب ازاء نجم الحرف المُشاهَدْ والمسموع !!
اقول اراني بحاجة الى استعارة هذه السطور وانا اهمُّ بكتابة حديث نقدي عن هذا الكتاب الممتع والجميل (نسيان com) ذي الصفحات التي زادت على الثلاث مئة، المكتظة بنثر يحاكي الشعر ويضارعه، لابل يبزه ويتفوق عليه، تُرى هل رأيتم نثرا يبز الشعر؟ نعم، لقد قدمت احلام مستغانمي في كتابها هذا الذي سيبقى في الذاكرة ولن ينسى والذي اسمته (نسيان com) النثر الباز للشعر والمتفوق عليه، ونصيحتي لمن تريد او يريد قراءة هذا الكتاب، الذي حظرته احلام عن عيون القراء الرجال! لكننا تمكنا بطرقنا الخاصة من التلصص على هذا الكتاب والدخول الى مخادعه، واختلاسه بصمت وهدوء كي ننعم بسويعات جميلة معه، ويحق لنا ان نرفع ضد كاتبته دعوى التمييز الاسري ضد الرجال والعنف الثقافي الممارس نحوهم، والمطالبة بحقوق الرجال ومساواتها بحق المرأة في قراءة كتاب (نسيان com) !!
نصيحتي ان يُقرأ هذا الكتاب – وانا هنا بنيت الفعل للمجهول كي لا تحتج مستغانمي علينا نحن معاشر الرجال !! – ان يُقرأ – لمزيد من المتعة والاستغراق فصلا، فصلا، كي لا تختلط قراءة هذا الفصل بمتعة ذاك، ولكي تبقى تعيش اجواء كل فصل وتعايشها.
في قراءتي للمجاميع القصصية، اقرأ من اجل مزيد من الامتاع والمؤانسة، وانا هنا استعير عنوانا لكتاب شهير لابي حيان التوحيدي، اقرأ – غالبا – قصة واحدة في كل جلسة للقراءة، ان قراءة اخرى تفسد متعتي بالاولى، ولا تجعلني اتمتع بألق الثانية وبهجتها، يحصل عندي تداخل في الاجواء، واجد من الصعوبة مبارحة اجواء القصة التي انجزت قراءتها والدخول الى عتبات الثانية، وهذا ينسحب على الطعام، لا ارغب في الانتقال من لون الى آخر، وغالبا ما آكل لونا واحدا، وهذا ما نفذته وانا اقرأ هذا الكتاب الجميل الانيق بموضوعاته ولغته فأحلام مستغانمي التي ابهرت الدكتور سهيل ادريس، وهي تختار عنوانا لأحد اجزاء ثلاثيتها الروائية (عابر سرير) وادهشته طعما في مَسَبّاته المحببة الى قلبها صائحا بها بلهجته البيروتية وهي تعرض عليه نص روايتها الجديدة، ناصةً على عنوانها (عابر سرير).
(وين لاقيتيه عنوان (عابر سرير)؟) تراجع ص٤٣ من عدد مجلة الآداب ٤-٥-٦-٢٠٠٨ السنة ٥٦، فهي كذلك ابهرت قراءها، وهي تبحر نحو جزر العواطف وخلجان المحبة ومحيطات العشق والغرام، بلغة منتقاة ساحرة زاخرة بالجناس والطباق البلاغيين، مستغانمي، هذه التي كنا – في العراق – نقرأ بشغف وحميمية مقالها الاسبوعي في الصفحة الاخيرة من مجلة (الف باء) الاسبوعية في الثمانينات الماضيات، تقول في احدى حكمياتها البلاغية الجميلة الموجهة الى مجاميع النساء والكتاب كله احاديث شفيفة رقيقة موجهة الى المرأة التي تعاني ازمة او احباطا في العلاقة مع الرجل –(لا تنازلي رجلا بتقديم مزيد من التنازلات، في التبضع، كما في الحب، الرجل لا يحب التنزيلات، يريد ما ندر وغلا) ص٢٢٥، اذ انت لا ترى فيمن تحب الا ما تحب ان تراه.
ولننظر الى الجناس البلاغي في – تنازلي والتنازلات والتنزيلات.
انا لن اختار مزيدا من نصوص هذا الكتاب، ولآلئه، لاني ان اطلقت لنفسي العنان، لنقلت الكتاب برمته الا قليلا، واكون بذلك قد تخطيت حقوق الطبع المحفوظة للمؤلفة، التي تمنع النقل من دون اذن خطي مسبق من الناشر!! هي التي عانت كثيرا قراصنة الكتب الذي يجدون في كتبها تجارة لا تبور!!.

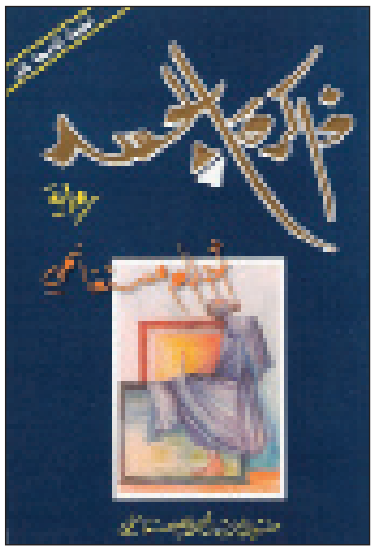

أوراق
العدد (1844)السنة السابعة -الاحد (11)
تموز 2010

غوركي .. الواقع و الطموح الإنساني

ترجمة/ عادل العامل

عندما التقى غوركي تولستوي في عام ١٩٠٠، كان الرجلان أشهر كاتبين في روسيا. و كان تولستوي طويل عهدٍ في " تحوله " الديني، و قد هجر الأدب و أعد نفسه باعتباره مخلِّص روسيا القلق الحكيم، و راح يبشّر باللاعنف و الروحانية الشخصية، و هو يرتدي زي فلاح، و يستقبل حجَّاجاً و ساعين إلى الحقيقة من كل أركان روسيا و العالم. أما غوركي، فكان كاتباً شاباً يبحث عن معبود أدبي. و تعد مذكراته عن تولستوي واسطة العقد في مجلد دونالد فانجَر الجديد الفاتن من الترجمات.

غوركي في مذكراته عن تولستوي

إن المذكرات، التي يترجمها فانجَر للمرة الأولى بتمامها، متهرئة الحواف، و قاسية بشكل مدهش، و لا يمكن التنبؤ بها، و تتسم بالتقمص العاطفي إلى حد أنها تكاد تكون أشعة إكس لشبح. و هذه المذكرات، المؤلفة من أربعة و أربعين جزءاً يتضمن حكايات نادرة و اقتباسات، إضافةً إلى رسالة غير مُكمَلة مكتوبة بمناسبة وفاة تولستوي، تجمعها معاً التناقضات ـ جاذبية سحر تولستوي الكونية و احترام الذات مقابل صلابة الرأي العنيدة في وعظه الفاتر؛ إصرار تولستوي على البساطة الفلاّحية مقابل تأمله الصامت المعذب للتعقيد، الإنساني و الإلهي؛ الحنو على الإنسان، الواسع جداً إلى حد أن غوركي يكاد يغرق فيه و كأنه البحر، مقابل حقد غوركي الدفاعي.

و بكونه مفتوناً على الدوام بالطريقة التي يخاطب بها الناس الله أو يتحدثون عنه، فقد شعر غوركي في وعظ تولستوي بالطابع الزائف المهتز الذي يتّسم به غير المؤمن. و تُعد مذكراته رسالة بديلة تتعلق بتعاليم و تناقضات إنسان شبيه بإله، أعاد نفسه كتابة الأناجيل بحثاً عن إله يمكن أن ينقذه . إنها كما هو واضح سيرة تقديسية hagiography، لكنها سيرة تخرج عن طريقها لتؤكد أن موضوعها ليس بقدّيس. في هذا، كان غوركي يتحدى عبادة تولستوي، التي كانت تصر على الاستشهاد الحقيقي لقديسها الشفيع. لم يكن إعجاب غوركي بتولستوي لإيمان غوركي الكبير بالله، و إنما لإيمانه الكبير بالكون تولستوي. فقد بحث في العالم عن مستشار روحاني،إمام لنظرية سمو البشر التي ستمكّن بلاده من تجاوزً ظلام الماضي و قساوة الحاضر و جهالته العديمة العقل، و وجد تولستوي ، الذي لا بد أنه قد بدا له تجسيداً لآماله.

إن صور غوركي الأدبية تنطوي على ثقافة القراءة التي كانت موضوعاتها تعيش فيها : الكلاسيكيات، و البحوث المنسية، و المجلدات المدروسة، و الروايات المثيرة التي تُذكَر بأنفاس واحدة و تُمرَّر بين المتحاورين مثل أوراق اللعب. و تتأرجح الإشارات إلى الوراء و إلى الأمام مثل القراقوزات. فمذكرات تولستوي تتضمن واحداً من أكثر التقارير حيويةً أينما كان عن مادية physicality المحادثة الأدبية، جو الخشونة و الشجاعة، الإهانات، مقارنات الكتّاب أحدهم الآخر بالنساء الفاتنات، التأكيد على العمل و كمال التقنية، تهذيب الأسلوب و الشخصية. و تبدو المحادثات بين تولستوي، و غوركي، و تشيخوف، و صديقهم ل. أ. سوليرشيتسكي، و كل واحد يتنافس على ود ليو نيكولايفيتش، شبيهةً بخليط من مباراة الملاكمة، و حفلة شاي، و قرار باريس، و حجٍّ إلى ناسك متنور متضرر. و يمثل تشيخوف جاكوب قياساً على أيسو غوركي، لكنه لا يحتاج إلى فرو على ذراعيه لينال بركة البطريرك : ذلك أن نعومته ـ " مثل سيدة شابة " ـ هي ما يفضلّه تولستوي خفيةً.

و يظهر تولستوي في المذكرات كإله روسي " يجلس على عرش من خشب القَبقَب تحت شجرة زيزفون "؛ ساحر؛ إله من آلهة الغابات بفم بحّار؛ سفايتوغورSviatogor، الذي يعني اسمه " الجبل المقدس "، البطل الروسي الذي لا تستطيع الأرض نفسها أن تحمله؛ قوة الطبيعة. و لقد رآه غوركي في القرم مرةً يسير على طول حافة الساحل :

و فجأةً، للحظة مجنونة، شعرتُ بأنه يمكن أن يكون على وشك الوقوف ليلوّح
بذراعيه، فيجري البحر هادئاً و زجاجياً، و تتحرك الصخور و تبدأ بالصياح،
و يهيج كل شيء هناك و يحيا و يروح يتحدث بأصوات مختلفة عن نفسه، و
عنه، و ضده. و لا يمكنني أن أعبر بالكلمات عمّا شعرتُ به آنذاك؛ كنتُ مليئاً
بالنشوة و بالرعب معاً، و عندئذٍ جاء كل شيء سويةً في فكرة سعيدة واحدة :
" لستُ يتيماً على الأرض ما دام هذا الرجل حياً ".]

و في حين يوجه إلى عمل تولستوي، خاصةً (الحرب و السلام)، اعتراض على فكرة " الرجل العظيم "، تسجل حياة غوركي و عمله بحثاً متواصلاً عن مثل هذه الشخصية بالضبط ـ " الرجل Man بحرف كبير "، كما كان يدعو لينين. و و كتب يقول، " أعتقد بأن مثل هؤلاء الرجال ممكنون فقط في روسيا، التي يذكّرني تاريخها و طريقتها في الحياة بسدوم و عمورة (١) " و غوركي، في صوره الأدبية، منجذب كثيراً إلى موضوعاته إلى حد أن إعجابه يقارب أحياناً التقلب الحرباوي. و في صورة فوتوغرافيةغريبة من عام ١٩٢٠، يقف لينين في الأمام بينما نرى غوركي الأطول كثيراً و هو في بدلة مماثلة و بشعر رأس محلوق، يميل بصعوبة إلى جانب وراء معبوده، مثل صورة مرآتية مطوّلة مثيرة للشك. و المشهد صحيح ـ غوركي الملتصق، الببغاء، المعاون الدائم.

لقد كان غوركي يبحث عن رجل ذي " إيمان حي "، لكنه في تولستوي استقر، للسخرية، على تجسيد أزمة العصر الروحية العظمى على وجه الاحتمال. و كان تولستوي يلتمس الصدق البسيط للفلاحين، و بدلاً من ذلك واجه عينيّ ثوري بروليتاري تتقدان عند فكرة قابلة للتطبيق. و قد أخطأ كلٌ منهما الآخر في الظن بأنه الآتي بحسن الطالع لقضيته. و في تأمله نظرةَ تولستوي إلى التأثير الغربي على روسيا، لاحظ غوركي أن " شخصية تاريخنا المتأوجة ... كان يرغب (شعورياً و لاشعورياً معاً) في أن ينتصب كجبل عبر الطريق الذي يؤدي إلى أوروبا، إلى تلك الحياة النشطة التي تتطلب من الرجال أقصى تركيز لكل قواهم الروحية ". و يمثل تولستوي " روسيا القديمة " التي ستخلّفها الثورة وراءها؛ لكنه مع هذا قدم شيئاً لم يكن باستطاعتها أن تنجح من دونه.

و حين نشر غوركي مذكراته عن تولستوي في عام ١٩١٩، في ذروة الحرب الأهلية الروسية، كان و لا بد يفكر بلينين. (سيكون من المفيد الحصول على ترجمة من فانجر لمذكرات غوركي عن لينين، التي تحتوي في نسختها الأصلية المثيرة للجدل ـ و لم تُترجم بالكامل ـ على مديح لينين لتروتسكي و تعليق غوركي حول سدوم و عمورة المستشهد به أعلاه، إلى جانب ملاحظات مريرة بشأن الفلاحين الروس). و في أعقاب الثورة مباشرةً، أصبح غوركي المصدر الأبرز للنقد الداخلي لطرق و إيديولوجيا حكومة البولشفيك. و نشر مقالات تهاجم بعنف لينين و السلطات لوحشيتها، و عنفها الاستبدادي، و ازدواجيتها في المعاملة، و تجاهلها المتصلب لأنتيليجيستيا (٢) روسيا (أي فئة المفكرين و المثقفين فيها). و لم يكن هناك مؤمن بالثورة الروسية أعظم من غوركي، و كان يعتقد بأنها تستطيع أن تسلك طريقاً آخر. و كان الطريق الذي سارت فيه لا يشبه في شيء الطريق الذي حلم به.

و كان شكلوفسكي يدعو غوركي بـ " نوح الأنتيليجيستيا الروسية ". فقد شكل لجاناً لتوفير العمل و المأوى للشعراء و الدارسين الروس المهددين، مؤلفاً مئات رسائل التوصية، و كان يشتم لينين بالتلفون. و راح يؤمّن بطاقات تموين من خلال الزعم بأن جميع الكتّاب هم أفراد أسرته، متباهياً فجأةً بوجود عشرات الأخوان، و الأطفال، و الزوجات لديه! و الأبرز هنا بين مجازفاته (دار نشر الأدب العالمي)، التي انطلقت تترجم إلى الروسية الكلاسيكيات الأدبية العالمية من أجل " القاريء السوفييتي الجديد ". و كان يجلس في مكتبه، يتناقش مع أفضل مترجم لملحمة جلجامش بينما كان إطلاق النار المتقطع يُسمع في الشوارع. و كان جزء من مشروعه، لجنة التمثيل التاريخي، سيُنتج مسرحيات مستندة على كل حدث عظيم في التاريخ البشري. و حين قرأ ألكسندر بلوك، أحد شعراء العصر الكبار، مسرحيته عن حياة الفرعون رمسيس، علق غوركي فجأةً، " ينبغي عليك أن تعملها مثل هذا قليلاً "، و مدَّ ذراعيه إلى الجانبين مثل مصري قديم. كما كان هناك (ستوديو الترجمة الأدبية)، (دار الدارسين)، (مفوضية الخبراء للحفاظ على الأشياء الوطنية) و غيرها. (و من الجدير بالذكر أنه في رواية المحاكمة لكافكا، كان النشاط العام الوحيد الذي يشارك فيه جوزيف ك. هو جمعية الحفاظ على صروح الفن البلدية).

حين نشر غوركي مذكراته عن تولستوي في عام ١٩١٩، في ذروة الحرب الأهلية الروسية، كان و لا بد يفكر بلينين. (سيكون من المفيد الحصول على ترجمة من فانجر لمذكرات غوركي عن لينين، التي تحتوي في نسختها الأصلية المثيرة للجدل ـ و لم تترجم بالكامل ـ على مديح لينين لتروتسكي و تعليق غوركي حول سدوم و عمورة المستشهد به أعلاه، إلى جانب ملاحظات مريرة بشأن الفلاحين الروس). و في أعقاب الثورة مباشرة، أصبح غوركي المصدر الأبرز للنقد الداخلي لطرق و إيديولوجيا حكومة البولشفيك.

غوركي في المنفى

لقد كان إيفجيني زامياتين، مؤلف رواية الخيال العلمي (نحن)، التي ظهرت في عام ١٩٢١، يتصور مغامرة الأدب العالمي كسفينة فضاء في بعثة ما بين الكواكب تبدأ، بعد حادث، بالسقوط، و لو أن سنةً و نصف سنة ستمر قبل أن تصطدم السفينة فعلياً. و تساؤلاً منه عن الكيفية التي سيتصرف بها الرحّالة هؤلاء، طرح القصة على غوركي، الذي رد عليه : " في غضون اسبوع، إذا لم يحدث شيء، سيبدأون بالحلاقة و كتابة كتب و بوجهٍ عام يتصرفون كما لو كان لديهم في الأقل عشرون سنة أخرى يعيشونها. ... لقد صرنا نعتقد بأننا لن نكون مبعثَرين، و إلا فنحن ضائعون جميعاً ".

كان قرار غوركي مغادرة روسيا في عام ١٩٢١ قد تم على الأرجح بسبب تحرره الشديد من الوهم المتعلق بالحكومة السوفييتية ـ و كان بلوك قد مات بمرض الأسقربوط، و الاستنزاف، و اليأس الروحي؛ و أُعدم شاعر آخر لمشاركته افتراضاً في مؤامرة. كما أنه تلقى تشجيعاً على نحوٍ متكرر للمغادرة من لينين، الذي زعم أن رئتي غوركي الضعيفتين بحاجة إلى الراحة. و كان غوركي غاضباً بشدة من لينين، الذي انتقده باعتباره نظرياً " ينفذ تجربة كواكبية " فشلت. و قد أقلقه كثيراً ظرف روسيا، التي كانت تعيش مجاعةً كارثية. و بعد ثلاث سنوات من التنقل في أوروبا، و جمع الأموال لإغاثة المنكوبين بالمجاعة، انتقل غوركي إلى فيلا في سورينتو المطلة على جبل فيسوفيوس، حيث عاش لمدة عشر سنين تقريباً قبل أن يعود بشكل دائم إلى روسيا. و بينما كان يعيش في المنفى، تذكر مشهداً من أيامه مع تولستوي : سأل تولستوي سحليةً ذات مرةٍ بصوتٍ خفيض :

ـ " هل أنتِ سعيدة، ها؟ "

كانت السحلية تتشمّس على صخرةٍ في الأحراش على امتداد الطريق المؤدي

إلى ديولبَر، و قد وقف تولستوي مواجهاً لها و يداه ثابتتان في حزامه الجلدي.

و راح ذلك الرجل العظيم يتطلع من حوله بانتباه، و هو يعترف للسحلية :

ـ " إنني لست ... "

(و لقد كتب هنريك هاينه، الذي كان بلوك يترجمه لدار نشر الأدب العالمي، قائلاً في واحد من مشاهد تنقلاته الإيطالية إن السحالي على سفح تلٍ معين كانت قد بيَّنت أن الأحجار كانت تتوقع أن يتجلّى الله بينها على شكل حجر).

فأين كانت الثورة، بصورتها الجوهرية عن الرجل الباحث عن معنى؟ يسجل أحد المصادر أنه، في إيطاليا، تلقى غوركي ثلاثة عشر ألف رسالة من روسيا. لكن أية أنواع من الرسائل كان يتسلّم؟ وفقاً لأرشيف الـ KGB (٣)، كان الكثير منها من مواطنين سوفييت يفصّلون فيها مظالم و لامعقوليات الحياة الروسية. و إقناعاً منه لنفسه بأن روسيا رغم هذا على الطريق الصحيح، اختار غوركي ألاّ يركّز على تحذيراتهم.

و يبدو أن غوركي، مثل تولستوي، قد مر خلال منفاه بمنعطف روحي أرغمه على أن يتخذ وضعاً زائفاً. لكن في حين تطلّبت أزمة تولستوي أن يتبرأ من حياته الماضية باعتبارها مخطوءه على نحو مضر، فإن أزمة غوركي أجبرته على التصرف كما لو أن أفعاله الماضية، و الثورة عموماً، كانت سليمة. و ما كان على الرهان هو مكان غوركي في القصة التي كان قد قضى حياته و هو يُنشئها : إذا كانت الثورة عملاً فاشلاً، فإن دوره كنبيٍّ و شاعرٍ لها سيكون بلا معنى، أو أسوأ.

و قد اتّسمت عودة غوركي إلى روسيا بغضب شديد من إعادة تسمية بعض الأماكن على شرفه، باقتراح من ستالين : الشارع الرئيس، المتنزه المركزي، و المعهد الأدبي في موسكو إضافةً إلى مسرح الفن؛ مدينة و إقليم نيشني نوفغورود؛ مئات المزارع الجماعية، و المعامل، و المدارس ـ كلها أخذت اسم غوركي. و قد مُنِح قصراً و عزبة خارج موسكو و في القرم.وفي عام ١٩٣٢، طارت فوق موسكو طائرة سُميت (مكسيم غوركي)، متباهيةً بأعرض مسافة بين طرفي الجناحين في العالم. (تحطت الطائرة في العام التالي). و في نهاية حياته لم تعد موهبة غوركي في تذكّر أسماء الأماكن ضروريةً : فكل مكان يذهب إليه كان يسمى غوركي!

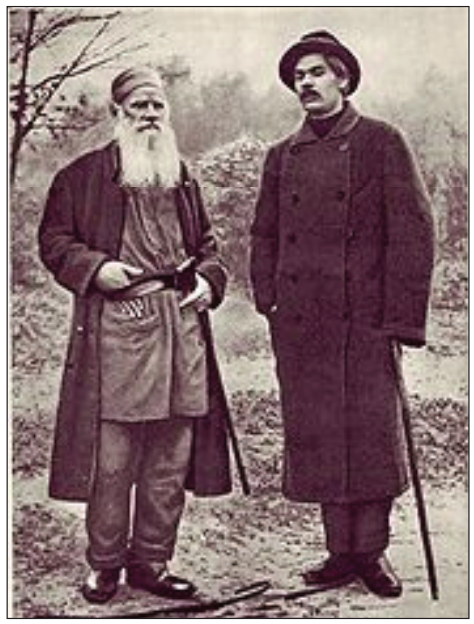

و هكذا أصبح غوركي المدافع الأبرز الوحيد عن نظام حكم ستالين. و خلال الاندفاع نحو الجماعية ، التي نجم عنها موت ملايين الفلاحين، قدم شعاراً لكفاح السلطات ضد الكولاك : " إن لم يستسلم العدو، يجب أن يُباد ". و ربما كان الأسوأ سمعةً، أنه قاد حملة من الكتّاب إلى موقع قناة البحر الأبيض، المشروع الإنشائي الضخم الأول الذي تم بعمل السجناء في الغولاغ، و الذي مات خلاله أكثر من عشرة آلاف سجين. و قد حرر غوركي و ساهم في مختارات أدبية تُثني على ذلك العمل لطموحه و تأهيله المجرمين. و قد أوضح الباحث الدراسي جون فريكسيرو أن (جحيم) دانتي يشابه معسكراً للسجناء. و عند عودة غوركي من ذلك الجحيم، أخبر العالم بأنه كان مطهراً Purgatory فقط (٤). و مع هذا، استمر غوركي، في الوقت نفسه، في كتابة رسائل إلى الشرطة السرية من أجل " إطلاق السجناء أو التساهل في العقوبة ". و يبدو أنه أُبقي تحت اعتقال منزلي مرهق في " بلاد الفراعنة ". و ذكر مراقبون أنه نادراً ما كان يمس الطعام في المآدب المقامة في منزله. و في نهاية حياته، أعطي غوركي، المؤمن العظيم بالأدب الإيجابي، صحفاً مطبوعة بشكل خاص مع " الاختصارات و التعديلات الضرورية ". و قبل موته بالضبط، اقترح أن تجري تعبئة مئة كاتب لمشروع جديد :

إن الأدب العالمي و التاريخ كله، تاريخ الكنيسة و الفلسفة يجب أن تُعاد كتابته:

غيبون و غولدوني، الأسقف آيرَنيس و كورنيل، البروفيسور أنفيلونوف

و جوليان المرتد، هيزيود و إيفان فولنوف، لَكريشوس و زولا، جلجاميش و هايواثا Hiawatha، سويفت و بلوتارك. السلسلة كلها يجب أن تنتهي مع الأساطير الشفوية حول لينين.

و كانت الخطة غوركية الطابع ـ تشكيلة من القراءة، و حب العمل الجماعي، و التأكد من أن الجواب يمكن أن يوجد في الكتب، و التعصب للتصحيح. و كان الذوق مريراً.

غوركي و إيمانه الثابت بالإنسانية

وجد تولستوي أن الحقيقة هي مساواة leveler تمسح كل جانبٍ من الحياة، مخلّفةً نفس جدب الموت و المعاناة القاسي. و قد هزه ذلك، و كانت " تعاليمه " مقامة و مبشَّر بها في مسعىً لتجديد إيمانه هو. مع هذا كان إيمانه بنفسه على الدوام واسعاً جداً. و كان رجلاً عظيماً و كان يعرف هذا. و لم يكن موقفه تجاه الحقيقة يتذبذب في الواقع، لكنه لم يستطع جعل نفسه تواجه بالكامل نتائج بحثه عنها. و كانت النساء يذكرنه بالموت، و لهذا كان يكرههن.

أما غوركي، مقارنةً به، فكان يشعر بالرثاء الشديد و الشفقة على الجنس البشري، لكن كما يبدو كان يلاحقه الشك في أن الصراع قد حُسم، أن الجُعالة هي على العالم و على المعاناة. و ما يبينه كتاب فانجر على نحوٍ لافت للنظر هو إلى أي مدى بلغ كتّاب آخرون رقم غوركي، حتى مبكراً و إلى ما بعد ذلك. و خلال الحرب الأهلية الروسية، كان بلوك قد أخبر غوركي ، على درجات سلم (دار نشر الأدب العالمي) : " لقد أصبحنا أذكياء جداً على الإيمان بالله، و لسنا أقوياء بعدُ بما يكفي للإيمان بأنفسنا. و كأساس للحياة و الإيمان هناك فقط الله أو أنفسنا. الإنسانية؟ هل يمكن لأي شخص أن يؤمن بمعقولية الإنسانية بعد الحرب الأخيرة، مع حروب جديدة، محتومة، و أقسى، في المستقبل القريب؟ "

غير أن غوركي وضع إيمانه في الإنسانية. و راح يزخرف و يصقل الإنسانية بحيث يحافظ على إيمانه مصوناً. و قد قال تولستوي لغوركي " تريد على الدوام أن تصبغ فوق كل الحزوز و الشقوق بطلائك أنت ". و كان غوركي، مثل تولستوي، غير قادر على مواجهة الحياة كما توهم أن تكون، لكنه كان يفتقر إلى الإيمان بقواه الخاصة به التي منعت تولستوي من ارتكاب خيانة ذاتية حقيقية. و كان ذُعر غوركي من انعدام القوة شديداً إلى حد أنه في الآخر يحابي القسوة نفسها على الإقرار بالقسوة. و يبدو أنه آمن بأنه من أين قام، هناك في " الأعماق السفلى "، ليس من مكان يمضي إليه إلا إلى أعلى، و بأن الناس بحاجة لأن يقتنعوا بالكفاح إلى هذه الغاية. فأي قمع سيكون مؤقتاً. و كان غوركي، و هو المؤمن على الدوام بالتنقيح، يعامل روسيا مثل كاتب شاب يحتاج فقط لأن يلقى التشجيع و تحرير كتاباته أكثر فأكثر. و كان على خطأ : كان هناك عمق أكثر انخفاضاً حتى. و قد جعلته حاجته إلى تزيين الحياة ينحاز إلى أولئك الذين، من أجل أغراضهم الخاصة، أرادوا أن يُظهروها أسوأ مما هي عليه. و تحوَّل المخطوط المصحح إلى تسهيل facility تصحيحي.

مع هذا فإن مذكرات تولستوي غريبة و مؤثرة جداً بحيث أن من الصعب إدراك ما أعقب ذلك تماماً. إنها عمل عظيم (لم يقترب غوركي من نوعيتها أبداً لا قبلها و لا بعدها)، لكنه ليس بالعمل الحديث الطابع؛ و من المظلل تصنيف غوركي بين أنبياء القرن العشرين الساخرين، حين كان من نواح كثيرة كاتباً من القرن التاسع عشر استمر في العيش إلى القرن الشنيع التالي. فالمذكرات تفتقر بشكل مطلق إلى السخرية. و هناك عنصران قد ضلّلا قرّاءها كما يبدو. الأول هو موضوعها : إذ يظهر تولستوي نفسه على أنه المهّد المعذب، المهيب للانسان الحديث ـ موسى المعاصرين الذي يُنعم النظر في الأرض الموعودة لكنه لا يدخلها. و يبدو أن القراء قد أخذوا هذا على أنه يعني أن غوركي كان حديثاً أو معاصراً أيضاً، بينما القطعة بكاملها في الواقع يمكن قراءتها كمحاولة منه لمبادلة يقين (دين) بآخر (الإيمان الجماعي بالإنسان). أما العنصر الثاني، فهو شكلها المتجزّيء، المفتوح النهاية، الذي لا يبدو حديثاً فقط، بل حتى حداثوياً modernist. فبالنسبة لغوركي، على كل حال، لم يكن هذا الشكل متصوَّراً بروح حداثوية، من منطلق التجريب و السخرية، و إنما من منطلق الضرورة. فعندما يكتب أنه لا يستطيع أن يُنهي رسالته، فإنه يعني ذلك؛ فهو بالفعل لا يستطيع أن ينهيها. لكن بالنسبة لنا، يمكن أن يكون هناك فقط كتابة حديثة. لقد فقدنا القدرة على الكتابة بيقين غوركي، أو حتى قراءته بيقين. فحيثما رأى غوركي جسراً، رأينا نحن هاوية. و كان هناك بالتأكيد حس بالبروميثي (٥)Promethean في آمال غوركي بالثورة الروسية. أن الإنسان سيحرز لنفسه سمات من سمات الآلهة و يبدلها تدريجياً، متخلصاً بهذه الطريقة من كل المعاناة و الفوضى. و لقد أعاد كافكا نفسه سرد قصة بروميثيوس، قاسماً إياها إلى أربع أساطير. في الأولى، كان بروميثيوس مقيداً إلى الكوكاسيس لخيانته الآلهة لصالح البشر، و راحت النسور تتغذى من كبده، الذي كان يعود إلى حالته باستمرار؛ و في الثانية، كان بروميثيوس يضغط نفسه أعمق فأعمق في الصخر لينجو من المناقير، و أصبح شيئاً واحداً مع الصخر؛ و في الثالثة، نسيَ الآلهة، و النسور، و بروميثيوس نفسه تلك الخيانة؛ أما في الأسطورة الرابعة، فقد أصبح الآلهة و النسور ضجرين من القصة العديمة المعنى، و التأم الجرح بشكل ممل. و أخيراً، اختتم كافكا ذلك بقوله : " و بقيت هناك جبال الصخر العصية على التفسير ". و هكذا، أيضاً، في قصة غوركي، نبقى مع الصخر : صخر البطل سفاياتوغور، " الجبل المقدس "؛ صخر تولستوي الذي يمد نفسه كسلسلة جبال؛ صخر فيسوفيوس، مرئياً من فيلا سورينتو؛ صخر قناة البحر الأبيض؛ صخر الفرد الغامض؛ و مشهد جبلٍ يجعلنا نتخيل أننا نحركه، و هو ينكرنا، و نحنُ نعيد خلقه.

عن /The New Republic

خير جليس...

تتناول هذه الصفحات أحدث الإصدارات العربية والأجنبية يقدمها مازن لطيف.

« أو. هنري... قصص مختارة

يعد أو. هنري، واسمه الحقيقي وليام سيدني بورتر، رائداً في مجال القصة القصيرة في بلاده. قصصه تُدرّس في المدارس الأميركية، ويقبل عليها مترجمون من لغات العالم المختلفة، كما يستقي منها سينمائيون ومسرحيون حبكات أعمالهم، إذ تحول بعض قصصه إلى أفلام، وجرى تجسيدها على خشبات المسارح. وفي حين يندر أن تجد أديباً يقتصر على كتابة جنس أدبي معين، فإن أو. هنري سخّر قلمه لفن القصة القصيرة تحديداً، إذ كتب أكثر من ٦٠٠ قصة قصيرة توزعت بين عشر مجموعات قصصية، منها: «ملفوف وملوك»، «الملايين الأربعة»، «صوت المدينة»، «المصباح المشذّب»، «خيارات»، «المحتال الدمث»، «دروب القدر»، «ما هو إلا عمل»... وسواها من المجموعات القصصية التي اختار منها المترجم ٣٨ قصة يضمها هذا الكتاب.

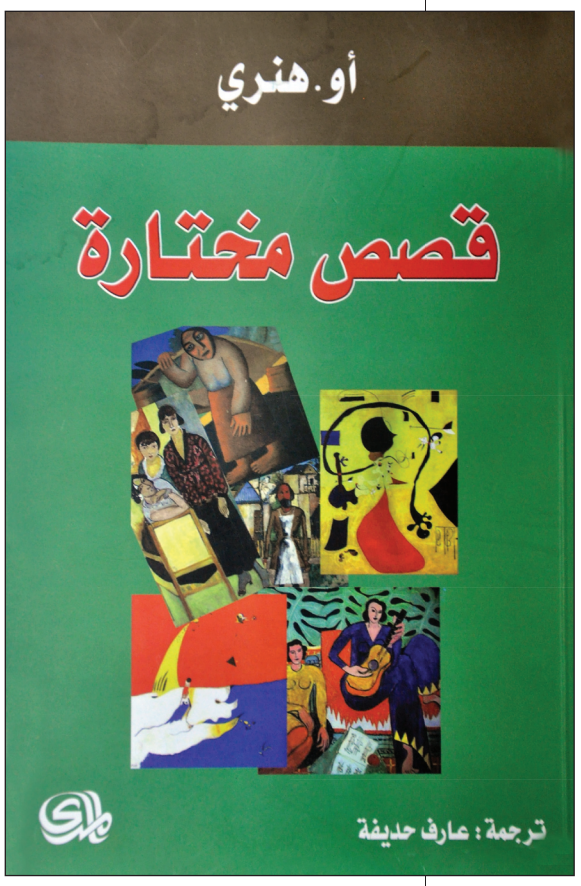

رأى النقاد في أو. هنري «غي دو موباسان أميركا»، نظراً لبراعة الكاتبين في نسج نهايات قصصية مفاجئة. وليست هذه النهايات المباغتة، وغير المتوقعة، هي التي تميز قصصه فحسب، فالأهم من ذلك هو أسلوب أو. هنري الساخر إلى أقصى الحدود في سرد حكاياته. تحفل قصصه بالفكاهة، وخفة الظل، والنقد اللاذع، والتهكم المفرط، وتطغى على أجوائها روح الدعابة الممزوجة بالكوميديا السوداء الجارحة. وهي لا تفتقر إلى التشويق وإثارة الدهشة... وسواء تمحور الموضوع حول النبل أو الوضاعة، حول الأنانية أو التضحية، حول الاحتيال أو الشهامة، حول المكر أو السذاجة، وسواء كان مسرح الأحداث مدينة نيويورك القريبة إلى نفسه، أو نيو أورليانز، أو مزارع الماشية في تكساس وسهوبها المتموجة، أو قرى منسية هنا وهناك، فإن أو. هنري ينجح في صوغ قصصه ضمن قالب درامي متقن، مستعيناً بعين لمّاحة تسبر زخم الحياة من منظور فريد وخاص؛ مفعم بالطرافة. إن التفاصيل المألوفة والغريبة، معاً، تستحيل بين يديه إلى لوحة فنية فاتنة.

وباستثناء هذا المزاج القصصي الساخر، فإن أو. هنري لم يغفل عن نموذج بشري إلا وأفرد له حيزاً في قصصه، فهناك المحتال والعاشق والماكر واللص والساذج والنبيل والغني والفقير والشاب والعجوز والأناني والوفي وراعي البقر والمتسول والنادل وبائعات الهوى...، ووسط هذا الخليط من الأبطال القادمين من أروقة القصور المرفهة، الرافلة في النعيم، أو من الزوايا الخلفية المعتمة؛ الغارقة في الشقاء، فإن حكاياته لا تخلو من ألاعيب الحظ والصدفة ومنعطفات القدر التي تلهو بمصائر هؤلاء الشخصيات التي يصورها أو. هنري على نحو كاريكاتوري محبب، في معزل عن كونها شريرة أو ودودة.

صوّر الكاتب في قصصه تفاصيل الحياة في الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فكان شاهداً نبيهاً على عصره، إذ استطاع، بلغته الرشيقة وبصيرته الثاقبة، تعرية المجتمع، ورصد التحولات التي شهدتها الطبقات الاجتماعية المختلفة،وخصوصاً في مدينة نيويورك. وعلى رغم هذا النهم إلى توثيق كل ما يراه من موبقات عصره ومزاياه، فهو كان يملك نزوعاً نحو الاحتفاء بالبسطاء والمهمشين، ومساندة الطبقات المسحوقة التي كانت تعاني على حساب الرأسمالية الصاعدة، آنذاك. ولعل عنوان مجموعته القصصية الثانية «الملايين الأربعة»؛ الصادرة عام ١٩٠٦ يؤكد هذا المنحى، فهذا الرقم يشير إلى عدد سكان نيويورك، آنذاك، وهو ينطوي على احتجاج ضد ما قاله زعيم أميركي من أن «هناك ٤٠٠ شخص، فقط، يستحقون الانتباه في نيويورك». لكن أو. هنري عارض ذلك قائلاً: إن كل سكان هذه المدينة، وهم أربعة ملايين، يستحقون الانتباه والتقدير»، معنوناً مجموعته بهذا الرقم.

، ويكشف الكتاب أمثلة عن عالمه القصصي الشاسع. هي قصص مستوحاة من تجارب حياتية عاشها أو. هنري الذي عمل في مهن عدة وغريبة... فباستثناء عمله الصحافي القريب من موهبته كقاص، عمل أو. هنري كاتب حسابات في صيدلية، ورسم الاسكتشات، وعمل راعياً للمواشي، وطباخاً، وجليساً للأطفال، وكان يعزف على الغيتار والماندولين، إذ انضم، لفترة، إلى فرقة موسيقية مسرحية، وعمل مخططاً في المكتب العام للأراضي، وأمين صندوق في أحد البنوك، وهذه المهنة الأخيرة قادته إلى السجن بعد اكتشاف نقص في خزينة البنك، إذ اتهم بالاختلاس وحكم عليه بالسجن خمس سنوات. لكنه قضى منها ثلاث سنوات ليخرج بسبب «حسن السيرة والسلوك».

إن هذه المهن، فضلاً عن تجربة السجن التي عثر خلالها على اسمه المستعار من أحد سجانيه، شكلت ينبوعاً غزيراً لكتاباته وقصصه، ولعل ذلك يفسر هذا الثراء القصصي لديه. علاوة على أنه كان قارئاً نهماً، فعلى رغم هجره الدراسة باكراً، بيد أنه قرأ الكثير بدءاً من الكلاسيكيات الأدبية المعروفة وحتى الروايات العديمة القيمة، و «ألف ليلة وليلة» كان كتابه المفضل. لقد تمكن أو. هنري من توظيف تجربته الحياتية الواسعة، وكذلك استثمار الثقافة التي استمدها من الكتب ومن عمله الصحافي، فأفلح في تقديم نتاج قصصي متنوع وغزير قاده لأن يكون أحد أعمدة القصة القصيرة لا في الولايات المتحدة فحسب، بل على مستوى العالم.

او هنري قصص مختارة
الناشر دار المدى٢٠١٠ ، بترجمة عارف حديفة.

إخـــوان العـــراق

هذا الكتاب هو مجموعة من المقالات التي تتناول دراسة حركة الإخوان المسلمين علي الصعيد العراقي العربي والتركماني، وممثلها في الوقت الحاضر «الحزب الإسلامي العراقي» عربياً و«حزب العدالة» تركمانياً، بعد الاكتفاء بما ورد عن الاتحاد الإسلامي الكُردستاني في كتاب الإسلامية الكُردية.

بدأ الكتاب بعرض حركة الشيخ محمد محمود الصواف بالأزهر والتي كانت سبيل حركة الإخوان المسلمين إلي العراق، حيث عاد الصواف بعد اللقاء بالشيخ حسن البنا ليبدأ بتأسيس فرع الحركة العراقي، وكبقية عمل فروع الإخوان لا تبدأ الجماعة بتشكيل حزب سياسي، إنما العمل عبر الجمعيات الخيرية، لكنها فترة وجيزة ويحاول الصواف وجماعته الحصول علي إجازة لتأسيس حزب سياسي، وقد رفض هذا الطلب طوال فترة العهد الملكي ١٩٢١ -١٩٥٨.

وفي العهد الجمهوري أعيد الطلب، ليرفض، بسبب الانتماء إلي جماعة عاملة في دولة أخري هي مصر، التي كانت علي خلاف شديد مع العراق، بعدها قبل الطلب عن طريق المحاكم، ومنحت الإجازة لتأسيس الحزب الإسلامي كواجهة سياسية للإخوان المسلمين، إلا أنها فترة وجيزة ويزج بقيادة الحزب في السجن، وذلك بسبب تعرضهم للسلطة بقوة، ودعوة الحزب لإسقاط الحكومة وإقامة حكومة تتقيد بالشريعة الإسلامية. كُتب هذا الملف بأقلام عراقية، ومن داخل العراق فقط، مما يجعله يستطيع أن يعكس واقع الحال بصدق، فالشأن العراقي مازال يكتنفه الغموض علي البعيد عن ساحته.

في هذا الكتاب بحث علي وتوت في صيرورة الإخوان المسلمين، بعد مقدمة وافية عن الإسلام السياسي العراقي السابق، ثم حدد الظهور السياسي للجماعة بالحزب الإسلامي العراقي، مراراً علي تاريخ العراق السياسي المعاصر وظروف إقامة الدولة الحديثة وطبيعة المجتمع العراقي، خاتماً بسرد مواقف وعلاقات الإخوان السياسية.

ومن جانبه بحث قحطان أحمد الحمداني بمادة مهمة وموثقة في تاريخ الحزب الإسلامي العراقي، كدراسة في الفكر والتنظيم الحزبي وتبيان المواقف التي تعرض لها الحزب في مسيرته السرية والعلنية، وقد حدد الفترة ١٩٦٠ -١٩٦٣، وهي فترة التأسيس الحزبي، والمواجهة السياسة الحادة، باستغلال ليونة السلطة آنذاك، ذاكراً بالتفصيل الجذور التاريخية لوجود الحزب، متعرضاً لجماعة الإخوان المسلمين.

كما كان بحث خميس دهام حميد «الحزب الإسلامي.. دراسة في التنظيم والأفكار والمواقف» دراسة معمقة في تاريخ الحزب، بداياته السرية، وعمله العلني، ثم ما تعرض له الحزب من مواقف بعد سقوط النظام، وتراجع عدد أعضائه، حسب ما يري الباحث، بدخول مجلس الحكم، والتي اعتبرتها هو خروج عن الثوابت التي دعا وعمل من أجلها الحزب، وجماعة الإخوان المسلمين عامة. وفي دراسة لجواد كاظم البيضاني يظهر دور الحزب الإسلامي العراقي في المعارضة السياسية، منذ بداية التأسيس وعروجاً إلي ما بعد حرب الخليج الثانية، حيث في التسعينيات، من القرن الماضي، أعلن الحزب معارضته الصريحة، ليكون قطباً من أقطاب المعارضة، لكن من دون تبني مشروع من مشاريعها، أو طرقها في إسقاط النظام السابق، مثلما حدث في أبريل نيسان ٢٠٠٣. كذلك في تاريخ ومسيرة الحزب الإسلامي العراقي كتب مازن لطيف حول المشهد العراقي المعاصر والحزب الإسلامي.

أما عزيز صمانجي، وهو سياسي تركماني عراقي، فكتب عن مشاهدة، وأخذ المعلومة من أُصولها، عن فرع الإخوان المسلمين التركماني في العراق، ألا وهو حزب العدالة، ذلك الحزب الذي يعد امتداداً لجماعة الإخوان بكركوك، حيث الكثافة السكانية التركمانية، وظهر الحزب إلي الوجود بعد ٢٠٠٣، وتحت هذا الاسم، شارحاً تفاصيل نشأة جماعة الإخوان في كركوك منذ ١٩٤٧، مؤكداً أن تلك الجماعة امتدت إلي القوميات العراقية الثلاث: العرب والكُرد والتركمان، أي من أهل السُنّة.

هذا، ويختتم الكتاب، بدراسة شايع الوقيان تحت عنوان «معني سؤال التخلف»، يحاول فيه الكاتب شرح السؤال، والوقوف علي الحدود بين التطور والتخلف، وماهي عناصر كل منهما، ومَنْ له مقايسة ذلك وتحديده

الإخوان المسلمون في العراق
مجموعة باحثين
مركز المسبار للدراسات والأبحاث

الآنسة الصغيرة تكشف اسرار ميتران

»الآنسة الصغيرة وقضايا دولة أخرى« هذا هو عنوان الكتاب الذي صدر قبل أسابيع قليلة في فرنسا. أما »الآنسة الصغيرة« المقصودة فهي »مازارين« الابنة غير الشرعية للرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران، والتي رافقته في السنوات الأخيرة من حياته بعد إعلان أبوّته لها إثر »كشف« وسائل الإعلام عن وجودها.

كان كريستيان بروتو، كما يقدّم نفسه في كتابه، مسؤولا عن حماية فرانسوا ميتران وأقربائه خلال سنوات ١٩٨٢-١٩٩٥، أي منذ العام الثاني لرئاسته وحتى نهايتها. وكان قد أسس الفرقة المعروفة بـ »مجموعة التدخل« التابعة للشرطة الفرنسية وتعرّض، كما يقول، للكثير من المخاطر وعرّض حياته للخطر أكثر من مرة.

ويشير »بروتو« الى أن إحدى مهماته كانت تكمن في »مراقبة« الأعداء المحتملين للدولة، بل ممارسة »التجسس« عليهم بما في ذلك اللجوء إلى »استراق السمع« على مكالماتهم الهاتفية، الأمر الذي يمنعه القانون إلا بأوامر قضائية. لكن ضابط الشرطة لم يفعل، كما يقول، سوى تنفيذ الأوامر الصادرة إليه. ونتج عن تلك الممارسة محاكمة »شهيرة« في فرنسا تعرّض فيها المؤلف، كما يقول، للكثير من »الإذلال« والكثير من »الألم« أيضا.

ويكرّس المؤلف قسما مهما من صفحات الكتاب للحديث عن المهمة الخاصّة التي جرى تكليفه فيها من قبل قصر الاليزيه وتمثّلت في المحافظة على »سريّة« الطفلة الصغيرة التي كان الرئيس ميتران يكنّ لها حبا كبيرا. المقصود ابنته »غير المعلن عنها« والتي لم يكن يذكر أحد اسمها إلا بالرموز.

يقول كريستيان بروتو: »في المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى مكتب الرئيس، كان شاغلي الكبير هو الحديث عن مازارين دون ذكر اسمها. وبادرت بالسؤال عن الإجراءات والإمكانيات البشرية والتجهيزات التي سوف أحيطها بها. وعندما كنت أتلعثم وأنا أبحث عن اسمها وجدت نفسي أدعوها بالآنسة الصغيرة. لم يبدر عن فرانسوا ميتران أي رد فعل، بل بدا في غاية السرور. وخلال تلك السنوات الطويلة كلها لم استخدم سوى هذه الصيغة الجميلة التي كانت تترك مسافة كافية بين الطفلة كان عمر مازارين آنذاك ثماني سنوات- وبيني. لقد كانت مازارين هي الحديقة السرية للرئيس، وحتى لو كان قد طلب منّي السهر عليها، فإنني لم أدخل أبدا إلى عالم تلك الحديقة السرية، كنت أحرس بابها فقط«.

ويشرح المؤلف أنه عرف منذ اللحظة الأولى »دقّة« الموضوع. ويشير الى أن مدير مكتب الرئيس كان »مرتبكا« عندما أراد طرح المسألة عليه، بل حوّله إلى »فرانسوا دوغروسوفر«، مستشار الرئيس ميتران لـ »المسائل الخاصة« الذي انتحر فيما بعد في مكتبه بقصر الاليزيه. قال له غروسوفر: »الرئيس هو أب لابنة صغيرة ستبلغ من العمر ثماني سنوات في شهر ديسمبر-كانون الأول المقبل، اسمها مازارين وأنا عرّابها. إنها تسكن مع أمها في شقة بالدائرة السادسة من باريس، ليس بعيدا عن الشارع الذي يحمل اسم مازارين. عندها فقط عرف أن للرئيس »أسرة ثانية«. ويعلّق على هذا بالقول: »كان هناك عالمان آنذاك: عالم أولئك الذين يعرفون السر وعالم أولئك الذين لا يعرفون«.

ويكشف كريستيان بروتو أنه جرى تخصيص ثمانية عناصر من رجال الشرطة التابعين له والذين »كان مظهرهم يوحي قليلا أنهم من جهاز الشرطة« كي يكون من السهل »تحرّكهم حيث يشاءون بالقدر الأكبر من السريّة«.

هؤلاء الثمانية أحاطوا بمازارين إلى أن بلغت ٢١ سنة من عمرها. لقد مارسوا مهمتهم في باريس ولكن أيضا بالقرب من جدران إحدى مقرات الإقامة التابعة للدولة في منطقة »ايتامب« حيث كانت مازارين تمضي أوقات العطلة هناك مع أمّها.

ويروي المؤلف أن ميتران ذات يوم »تسلّق« على كتف أحد حرّاسه كي يسترجع »هرّ مازارين« عن غصن شجرة مرتفع قليلا. وذات يوم آخر، تقصّد ميتران الوقوع في »الكمين« الذي كانت قد نصبته له ابنته مازارين عندما كانا يلعبان »لعبة الهنود« في أحدى الحدائق. يقول بروتو: »كان ميتران يحب كثيرا ألعاب الأطفال، والألعاب بصورة عامّة... بطريقته«.

ولا يتردد المؤلف في القول أن ميتران كان »يغشّ« أحيانا عندما كان يمارس لعبة ما مع مرافقيه كي يكسب.

وعن ذكرياته في مهمة الإحاطة بمازارين يقول المؤلف: »كانت مازارين لحظة حنان ونعومة في عالم من القساة. لقد كنّا نعتبرها كابنة لنا، وحتى لو أنها جعلت مهمتنا صعبة أحيانا عندما كانت في سن المراهقة. لكن التوصل إلى جعل هذه الفتاة تعيش حياة طبيعية تقريبا وحياة سعيدة، ربما هو الشيء الذي أعتزّ به أكثر من أي شيء آخر«.

تجدر الإشارة إلى أن المؤلف يكرّس فصلا كاملا لما يسميه »حالة جان ايدرناليه«، الكاتب الذي ساهم في الكشف عن وجود مازارين، ويصفه بـ »المشاغب« و»الشخصية الصغيرة« و»مجنون العظمة ذو الكفاءة الحقيقية بإثارة الكوارث«. بل لا يتردد في القول أنه هدد بـ »اختطاف الآنسة الصغيرة«.

الكتاب: الآنسة الصغيرة وقضايا دولة أخرى
تأليف: كريستيان بروتو
الناشر: ميشيل لافون باريس ٢٠١٠

آفـــاق

الحوارات مع الكتاب

سعد محمد رحيم

تمارس عنوانات كتب مثل (في تجربة الكتابة، كبار الكتّاب كيف يكتبون، حوارات مع كتّاب عالميين) جاذبيتها على الكتّاب وعلى شريحة واسعة من القرّاء. فغالباً ما يجعلنا الفضول نتحرى عن خلفيات الكتّاب الاجتماعية والثقافية؛ من أين استقوا أفكارهم وصورهم وأحداث رواياتهم وقصصهم؟ وكيف أبدعوا نصوصهم؟ وما هي طقوس الكتابة عندهم؟ وكيف هي ردود أفعالهم على المقالات النقدية التي تتناول كتبهم؟.

تثيرنا معلومات من قبيل أن إرنست همنغواي كان يبري عدداً من أقلام الرصاص قبل أن يبدأ الكتابة واقفاً على جلد بقرة وحشية متهرئ. وأن الشاعر نزار قباني يكتب بالقلم الرصاص، كذلك، وهو مضطجع على بطنه، فوق سريره. وأن إيزابيل الليندي تشرع بكتابة رواية جديدة في يوم محدد من السنة إن تخطته، لأي سبب قاهر، لن تستطيع الدخول في جو الكتابة إلاّ في اليوم المحدد ذاته من السنة التالية. وأن اندريه موروا ينجز كتابة أية رواية في أحد عشر يوماً إن تعدى هذه المدة يمزق ما كتب. وفي يوم إنجازه لروايته يكون طبيبه في انتظاره مع سيارة إسعاف لأن ضغط دمه سيكون مرتفعاً إلى درجة خطيرة. وأن نجيب محفوظ يقوم بتحضير ملف متكامل عن حياة كل شخصية رئيسة أو ثانوية، من شخصيات روايته المتخيلة.

تغدو الحوارات مناسبات يفصح خلالها الكتّاب عن خفايا تجاربهم الكتابية. ومع أسئلة ذكية يمكن استدراج الكاتب إلى قول ما يضيء جوانب من مضمون نصّه، أو طريقة بنائه. وربما أيضاً مرجعياته التي تقف وراء كتابته له.

(رائحة الجوافة) واحد من الكتب المثيرة بهذا الشأن يحكي فيه غابريل غارسيا ماركيز للصحافي بيلينيو مندوزا عن أشياء كثيرة تخص تجاربه في عالم كتابة الروايات. وهنا يتحدث بطلاقة وصراحة وثقة عالية بالنفس، معترفاً بأن هذا الذي نعدّه معطيات خيال خلاّق في رواياته وقصصه لا يعدو كونه تفاصيل مألوفة في حياة الناس ومعتقداتهم في بلده كولومبيا. وأنه لم يفعل سوى مط الحكايات إلى نهاياتها التي تقترحها المخيلة وتقتضيها شروط وقواعد بناء النص الروائي.

في هذا الكتاب يخبرنا ماركيز أن ماكوندو؛ المكان الذي تدور فيه أحداث أهم رواياته ليس مكاناً محضاً بل حالة ذهنية. وأن تأثير وليم فوكنر عليه كان يشل حركته. ويعلن أنه يؤمن بالخرافات، وأن ثمة أشياء يتطير منها وأخرى يتفاءل بها. وأنه بحاجة إلى زهور صفر في منزله ونساء تحيط به ليشعر بالأمان. وأنه لابد أن تكون هناك وردة على مكتبه ليستمر في الكتابة، وأنه يعتمد الحدس في اتخاذ قراراته كلها. وأنه إذا ما أخطأ في كلمة واحدة حين يكتب، يضطر للبدء بصفحة جديدة، لأنه يعد ذلك خطأ في الشكل.

آخر كتاب يتضمن حوارات مع كتّاب عالميين حظيت بقراءته كان (متعة المتخيل) ترجمة وتقديم؛ الدكتور نايف الياسين. يتضمن حوارات مع اثني عشر كاتباً وكاتبة؛ (همنغواي، فوكنر، شتاينبك، نابوكوف، توني موريسون، مايا آنجيلو، ماركيز، اكتافيو باز، يوسا، غرييه، غونتر غراس، كونديرا). هؤلاء جميعاً قرأت أعمالاً روائية وقصصية لهم باستثناء مايا آنجيلو. وهي كاتبة أمريكية سوداء تصف نفسها بأنها؛ "خاسرة بالولادة، طفلة لعائلة مفككة، اُغتصبت في الثامنة، أصبحت أماً غير متزوجة في السادسة عشرة". وعاشت لخمس سنوات عقب اغتصابها خرساء متطوعة؛ أي أنها تستطيع الكلام ولا تتكلم.. تكتب في الغالب سيرة حياتها، وترغب دوماً بإجلاء الحقيقة الساطعة. وفي أثناء الكتابة تكون بصحبة زجاجة شيري وقاموس وأوراق صفر ومنفضة سجائر وإنجيل.. تفتنها اللغة الإنجليزية.. وأفضل شيء في الكتابة، حسب رأيها، هو أن تمنحها اللغة نفسها؛ أن تأتيها مستسلمة وتقول؛ أنا ملكك يا عزيزتي آنجيلو ليست روائية وحسب، بل أيضاً شاعرة ومؤلفة موسيقية ومطربة وكاتبة أغان، وكاتبة مسرحية، ومخرجة سينمائية. صارعت ظروفاً قاسية في بيئة عدائية حتى تثبت جدارتها وتحصل على القبول.

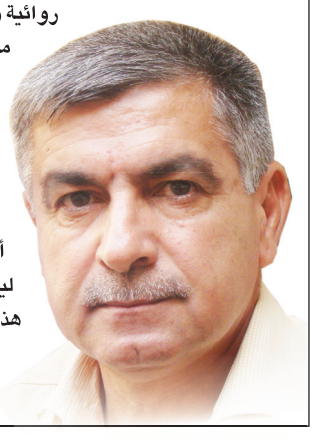

ما نقرأه في نص الحوار معها يجعلنا نتمنى قراءة أعمالها. وهي بكفاحها من أجل الإبداع تعطي الكتّاب والفنانين درساً ليؤمنوا بأنفسهم وإبداعهم.. وربما يكون هذا هو جوهر وظيفة الكتب التي على شاكلة (متعة المتخيل).

إصدارات دار المدى للثقافة والنشر

صدر حديثاً

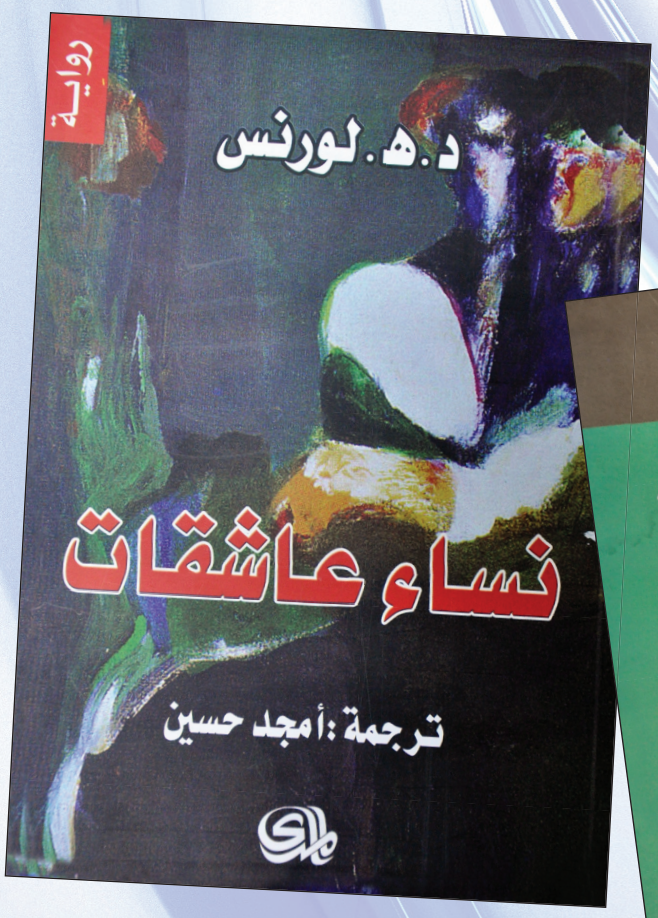

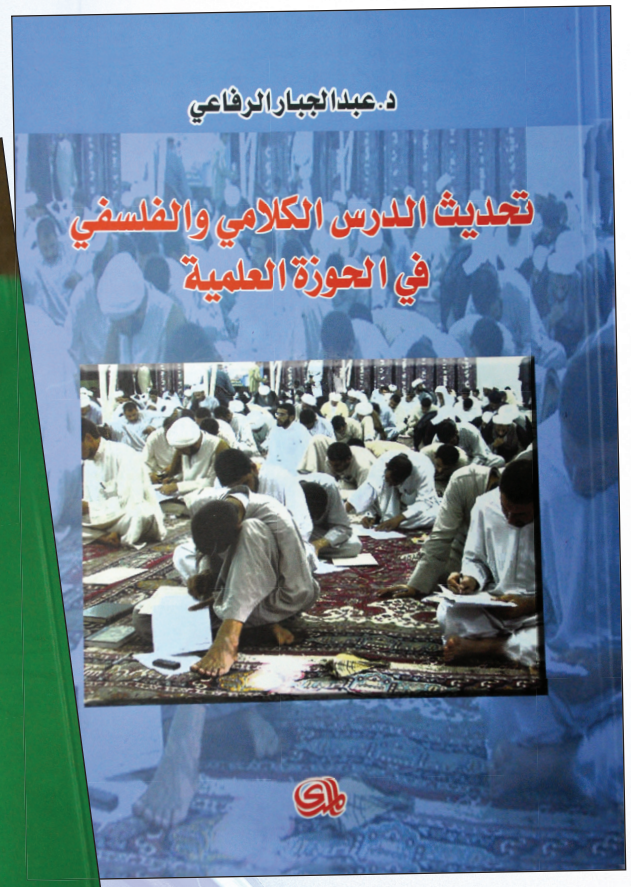

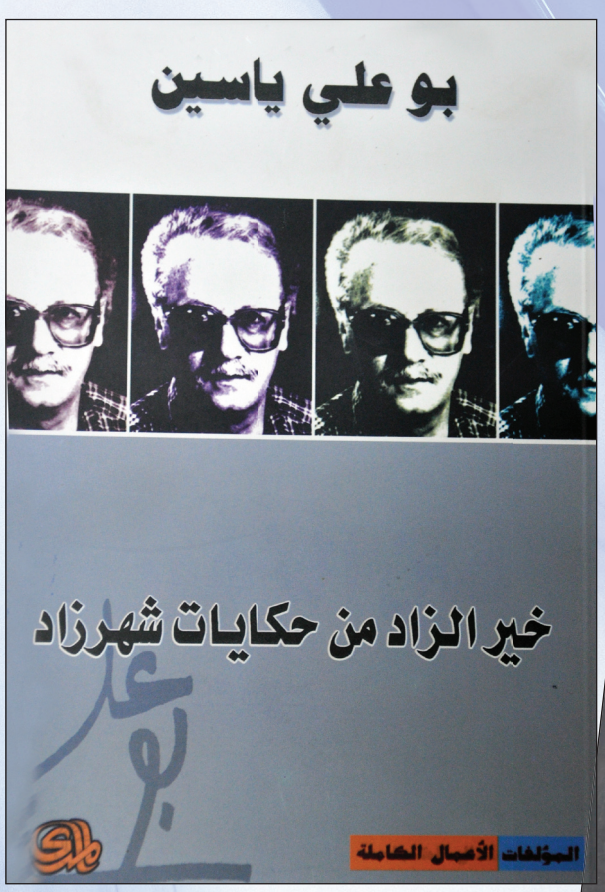

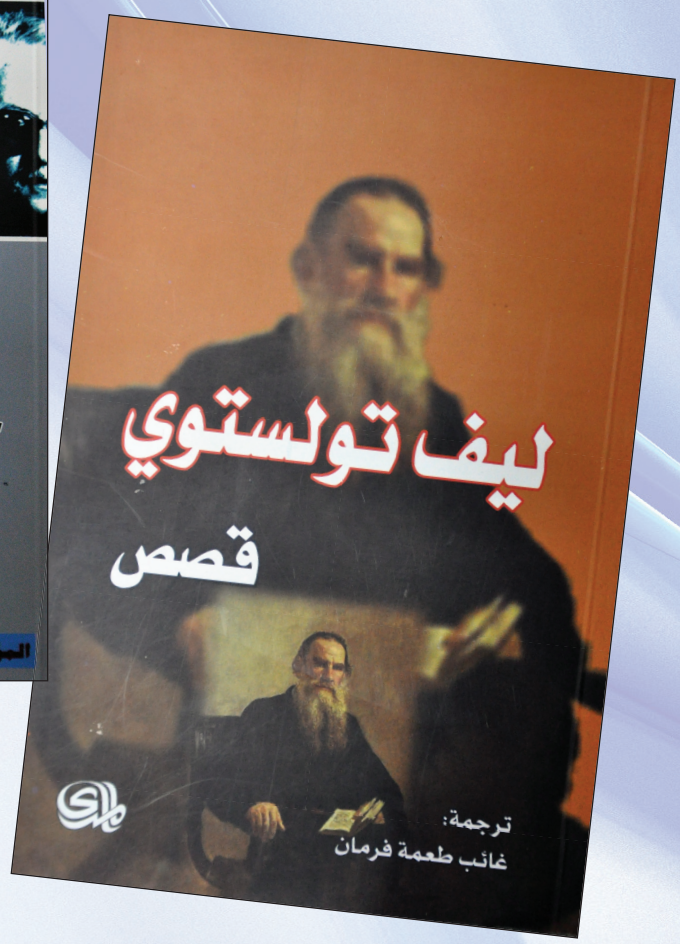

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | علي حسين - علاء المفرجي
الاخراج الفني | مصطفى جعفر
التصحيح اللغوي | يونس الخطيب
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون